

# سُورَةُ الْجِنَانِ لِتَمِيمٍ

مدنية وآيها اثنتان وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ  
تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ أي تراجعك يا محمد الكلام في شأنه، وفيما صدر عنه في حقها من الظهار ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي تتضرع إلى الله تعالى، وهي «خولة بنت ثعلبة» امرأة أوس بن الصامت؛ راودها فأبت، فغضب فظاهر منها، وكان به إمام بالنساء وشدة الحرص والتوقان، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أوساً تزوجني وأنا شابة غنية، ذات أهل ومال، حتى إذا أكل مالي، وأفنى شبابي، وكبر سني، ونثرت بطني - أي كثر ولدي - وتفرق أهلي، ظاهر مني، ولنا أولاد صغار، إن ضممتهم إليّ جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا!! فقال لها ﷺ: «ما أراك إلا قد حرمت عليه؟» فقالت: يا رسول الله، ما ذكر طلاقاً وإنما هو أبو ولدي وأحبّ الناس إليّ، فاغتمت وشكت إلى الله تعالى، فنزلت هذه الآيات الأربع، وفي كلمة «قد» إشعار بأن الرسول ﷺ والمجادلة كانا يتوقعان أن ينزل الله تعالى حكماً للحادثة، ومعنى «سمع» إجابة دعائها، لا مجرد علمه تعالى به

﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمْ﴾ أي يعلم تراجعكما الكلام، والجملة جارية مجرى التعليل لما قبله، فإن إلحاحها في المسألة ومبالغتها في التضرع إلى الله تعالى، وعلمه تعالى بحالها من دواعي الإجابة ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أي مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات، ومن قضيته أن يسمع تحاوركما، روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة «خولة» إلى رسول الله ﷺ وكلمته في جانب البيت، وما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﴿قد سمع الله﴾<sup>(١)</sup> الآية. وكان الظهار من طلاق أهل الجاهلية، وكان ذلك أول ظهار في الإسلام، وهذه الواقعة تدل على أن من انقطع رجأؤه عن الخلق، ولم يبق له في مهمته أحد سوى الخالق، كفاه الله تعالى وفرج كربته.

﴿الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ غَفُورٌ﴾.

﴿الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ شروع في بيان شأن الظهار، وحكمه شرعاً، والظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، أي أنت حرام علي كما تحرم أمي، وألحق به الفقهاء تشبيهاً بجزء محرم منه، وفي «منكم» مزيد توبيخ لعادة أهل الجاهلية، فقد اشتهر هذا عند العرب ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أي ما نساؤهم أمهاتهم على الحقيقة، فهو كذب بحت ﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أي ما هن ﴿إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ فلا تُشَبَّه بهن في الحرمة إلا من ألحقها الشرع بهن كالمرضعات، وأزواج النبي ﷺ، وأما الزوجات فأبعد شيء عن الأمومة ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ﴾ بقولهم ذلك ﴿مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ﴾

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد تعليقاً ٣٧٢/١٣ والنسائي ١٨٦/٦ وصححه الحاكم في المستدرک.

على أن مناط التأكيد، ليس صدور القول عنهم، فإنه أمر محقق، بل كونه منكرًا، أي عند الشرع، والعقل، والطبع، كما يشعر به تنكيره ﴿وَزُورًا﴾ كذبًا وباطلاً مجانباً للحق ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ أي مبالغ في العفو والمغفرة، فيغفر لِمَا سَلَفَ بِالْمَتَابِ عَنْهُ.

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ذَلِكَ نُوعُظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ أي والذين يقولون ذلك القول المنكر ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ أي إلى ما قالوا، بالتدارك والتلافي، لا بالتقرير والتكرار، فإن اللام و «إلى» تتعاقبان كقوله تعالى: ﴿بِأَنْ رُبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ وقوله: ﴿وَأَوْحَى إِلَى نُوحٍ﴾ ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي فتداركها، أو فعلية إعتاق رقة، أي رقة كانت، وعند الشافعي يشترط فيها الإيمان والفاء للسببية، ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير، بتكرر الظهار ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾ أي من قبل أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعاً، ولمساً، ونظراً إلى الفرج بشهوة، وإن وقع شيء من ذلك قبل التكفير، يجب عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفر، وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الحكم المذكور ﴿تُوعِظُونَ بِهِ﴾ أي تُزَجَرُونَ بِهِ عن ارتكاب المنكر المذكور، فإن الغرامات زواجراً عن تعاطي الجنايات، والمراد بذكره ليس تعريضكم للثواب، بمباشرتكم لتحرير الرقة، بل هو لزجركم عن مباشرة ما يوجبه ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال التي من جملتها التكفير وما يوجبه ﴿خَيْرٌ﴾ أي عالم بطواهرها وبواطنها.

﴿فَمَنْ لَمْ يَحِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَاللَّكْفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿فَمَنْ لَمْ يَحِدْ﴾ أي الرقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ أي فعلية صيام شهرين ﴿مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ ليلاً أو نهاراً، أي من قبل الوطء والاستمتاع بها ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ﴾ أي الصيام لسبب من الأسباب ﴿فَأَطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا﴾ لكل مسكين نصف صاع من بُرٍّ، أو صاع من شعير، ويجب تقديمه على الوطء، لكن لا يستأنف إن مس في خلال الإطعام ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما مرَّ من البيان والتعليم للأحكام، والتنبيه عليها، أي فعلنا ذلك ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وتعملوا بشرائعه، وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم ﴿وَتِلْكَ﴾ إشارة إلى الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ لا يجوز تعديها ﴿وَاللَّكْفِيرِينَ﴾ أي الذين لا يعملون بها ﴿عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ عبر عنه بالكفر للتغليظ، على طريقة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوتًا كَمَا كَبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي يعادونهما ويشاقونهما بمخالفة أوامرهما، وورود المحادّة في أثناء ذكر ﴿حُدُودِ اللَّهِ﴾ من حسن الموقع، ما لا غاية وراءه ﴿كُنُوتًا﴾ أي أخذوا وقهروا وخذلوا ﴿كَمَا كَبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي كما خذل وأخزي من قبلهم، من كفار الأمم المعادين للرسول عليهم السلام ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي والحال قد أنزلنا آيات واضحة فيمن حادَّ الله ورسوله، دالة على صدق الرسل، وصحة ما جاؤوا به ﴿وَاللَّكْفِرِينَ﴾ أي بتلك الآيات أو بكل ما يجب الإيمان به ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يذهب بعزهم.

(١) سورة آل عمران، آية: ٩٧.

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ﴿٦﴾ .

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾ أي يحشرهم كلهم للحساب والجزاء ﴿ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ﴾ من القبائح على رؤوس الأشهاد، تخجيلاً لهم، وتشديداً لعذابهم ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ ﴾ أي ضبطه الله عدداً لم يفته منه شيء ﴿ وَسُوهُ ﴾ أي وقد نسوه لكثرتة وتهاونهم به، وإنما تحفظ معظمت الأمور ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ لا يغيب عنه أمر من الأمور قط .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٧﴾ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ﴾ أي ألم تعلم علماً يقيناً متاخماً للمشاهدة أنه تعالى يعلم ﴿ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ من الموجودات ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ ﴾ أي ما يقع من نجوى ثلاثة، أي من مساراتهم ﴿ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ من حيث إن الله سبحانه وتعالى مطلع على نجواهم ﴿ وَلَا خَمْسَةٍ ﴾ أي ولا نجوى خمسة ﴿ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ وتخصيص العديدين بالذكر لبناء الكلام على أغلب عادات المتناجين، وقد عمَّ الحكم بعد ذلك ف قيل ﴿ وَلَا آدَنَىٰ مِنْ ذَلِكَ ﴾ أي مما ذكر كالثنين ﴿ وَلَا أَكْثَرَ ﴾ كالثلة وما فوقها ﴿ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾ والمراد من كونه تعالى معهم، كونه تعالى عالماً بكلامهم، وضميرهم وسرهم، يعلم ما جرى بينهم ﴿ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ من الأماكن، فإن علمه تعالى بالأشياء، ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة، قرباً وبُعداً ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ تفضيحاً لهم، وإظهاراً لما يوجب عذابهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ لأن نسبة ذاته تعالى إلى الكل سواء، فأين المفر إذا كان الله مع كل إنسان بعلمه، في السرِّ والجهر؟ .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ التَّجَوُّى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَيَنْسَ الْأَمِصِيرُ ﴿٨﴾ .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ التَّجَوُّى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ ﴾ نزلت في اليهود والمنافقين، كانوا يتناجون فيما بينهم، ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين، فهاهم رسول الله ﷺ، ثم عادوا لمثل فعلهم القبيح، والخطاب للرسول ﷺ، والهزة للتعجب من حالهم، وصيغة المضارع ﴿يعودون﴾ للدلالة على تكرار عودهم ﴿بِالْإِثْمِ﴾ أي بما فيه إثم في نفسه ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ للمؤمنين ﴿وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ ﷺ وذكره بعنوان الرسالة لزيادة التشنيع عليهم، واستعظام معصيتهم له ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ فيقولون: السام عليك، وهو دعاء عليه بالموت ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي فيما بينهم ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ أي هلا يعذبنا الله بذلك، لو كان محمد نبياً؟ قال تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ عذاباً ﴿يَصَلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿فَيَنْسَ الْأَمِصِيرُ﴾ أي بثست نار جهنم مسكناً ومأوى لهؤلاء الفجار.

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ .

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ ﴾ في أنديةكم وخلواتكم ﴿فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ﴾ كما يفعله المنافقون واليهود ﴿وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ أي بما يتضمن خير المؤمنين، وبأداء الفرائض والطاعات ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وحده لا إلى غيره، فيجازيكم على أعمالكم.

﴿ إِنَّمَا التَّجَوُّى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ .

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ فإنه المزين لها، والحامل عليها ﴿ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي ليحزن المؤمنين، ويسوءهم، ويوهمهم أنها في نكبة أصابتهم ﴿ وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ ﴾ أي وليس الناجي بضر المؤمنين ﴿ شَيْئًا ﴾ أي شيء من الضر ﴿ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ ﴾ أي بمشيئته ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ فلا يبالون بنجواهم، فإنه تعالى يعصمهم من شره وضرره.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ .

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا ﴾ أي توسعوا في المجالس وليفسح بعضهم لبعض ﴿ فِي الْمَجَالِسِ ﴾ والمراد مجلس الرسول ﷺ، كانوا يتضامون تنافساً في القرب منه ﷺ، وحرصاً على استماع كلامه فأمروا بأن يوسعوا لإخوانهم، لأن الرجل الرفيع القدر قد يكون متأخراً عن الصف الأول، والحاجة داعية إلى تقدمه، ثم يُقاس على ذلك سائر المجالس ﴿ فَأَفْسَحُوا ﴾ أي توسعوا ولا تتضايقوا ﴿ يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ في كل ما تريدون التفسح فيه، من المكان، والرزق، والصدر، والقبر ﴿ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا ﴾ أي انهضوا للتوسعة، أو ارتفعوا عن المجلس ﴿ فَأَنْشُرُوا ﴾ أي فانهضوا أو لا تثبطوا ولا تفرطوا ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ ﴾ بالنصر، وحسن الذكر في الدنيا، والإيواء إلى غرف الجنان في الآخرة ﴿ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ منهم خصوصاً درجات عالية، بما جمعوا بين فضيلتي العلم والعمل، وفي الحديث الشريف: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»<sup>(١)</sup> ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ من الخير والشر، وفيه تهديد لمن خالف أمر الرسول.

(١) الحديث أخرجه الترمذي رقم ٢٦٨٢ باب فضل الفقه على العبادة، وهو حديث =

﴿ يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾ .

﴿ يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ ﴾ أي إذا أردتم مناجاته في بعض شؤونكم المهمة، ﴿ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً ﴾ أي فتصدقوا قبلها، وفي هذا الأمر تعظيم لمقام الرسول ﷺ، ونفع الفقراء، والزجر عن الإفراط في السؤال، والتمييز بين المخلص والمنافق، واختلف في أنه للندب أو للوجوب، لكنه نسخ بقوله تعالى: ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ ﴾ الآية، وهو وإن كان متصلاً به تلاوة، لكنه مترخ عن نزولاً ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي التصدق ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ ﴾ أي لأنفسكم من الريبة، وحب المال، وهذا يشعر بالندب، لكن قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ينبىء عن الوجوب، لأنه ترخيص لمن لم يجد، وقد كان ذلك عشر ليالٍ ثم نسخ.

﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذ لَّمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

﴿ أَأَشْفَقْتُمْ ﴾ أي أخفتم من تقديم الصدقات ﴿ أَن تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾ جمع الصدقات لجمع المخاطبين ﴿ فَإِذ لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾ ما أمرتم به، وشق عليكم ذلك ﴿ وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ بأن رخص لكم أن لا تفعلوه، فإن قيل: ظاهر الآية يدل على تقصير المؤمنين في ذلك التكليف؟ قلنا: ليس الأمر كذلك، لأن القوم كلّفوا به، فمن ترك المناجاة لا يكون مقصراً، أما قوله تعالى: ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ ﴾ فلا يمتنع أنه تعالى علم ضيق صدر كثير منهم لو دام الوجوب ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ﴾ أي فإذا فرطتم فيما أمرتم به من تقديم الصدقات، فتداركوه بالمثابرة على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة

= مشهور وطويل، أوّله «من سلّك طريقاً يتبغي فيه علماً، سلك الله له طريقاً إلى الجنة...» الحديث.

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ في سائر الأوامر، فإن القيام بها، كالجابر لما وقع في ذلك من التفريط ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ظاهراً وباطناً، وهذا وعد ووعد.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٤).

﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ تعجيب من حال المنافقين، الذين يتخذون اليهود أولياء وينقلون إليهم أسرار المؤمنين، أي ألم تنظر ﴿ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا ﴾ أي والوا ﴿ قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ هم اليهود، كما أنبأ عنه قوله تعالى: ﴿ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ ﴿ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ﴾ لأنهم منافقون مذذبون بين ذلك ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ ﴾ أي يقولون: والله إنا لمسلمون، وقد كانوا يشتمون الرسول، ويكيدون للمسلمين، فإذا قيل لهم إنكم فعلتم ذلك، خافوا على أنفسهم، فيحلفون: والله إنا ما قلنا وما فعلنا ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ حال من فاعل يحلفون، مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا، فإن الحلف على ما يُعلم أنه كذب، في غاية القبح، كمن يحلف اليمين الغموس.

﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٥).

﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ بسبب ذلك ﴿ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فيما مضى من الزمان، فتمرنا على سوء العمل، وأصروا عليه.

﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (١٦).

﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾ الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة ﴿ جُنَّةً ﴾ أي وقايةً وسترة، دون دمائهم وأموالهم ﴿ فَصَدُّوا ﴾ أي الناس ﴿ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ بالتثبيط لمن لقوا لمنعهم من الدخول في الإسلام، وتضعيف أمر المسلمين عندهم ﴿ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ وعيد ثانٍ بوصف آخر لعذابهم، وهو الإذلال

والإهانة، وقيل: الأول عذاب القبر، وهذا عذاب الآخرة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (١).

﴿لَنْ نَعْفِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٧).

﴿لَنْ نَعْفِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي من عذابه تعالى ﴿شَيْئًا﴾ من الإغناء ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أي ملازموها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي دائمون لا يخرجون منها أبداً.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا يَأْتِيَهُمُ اللَّهُمُّ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٨).

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ أي يحلفون لله تعالى يومئذ أنهم مسلمون ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ﴾ في الدنيا ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ في الآخرة ﴿أَنَّهُمْ﴾ بتلك الأيمان الفاجرة ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ من جلب منفعة، أو دفع مضرة، كما كانوا عليه في الدنيا، حيث كانوا يدفعون بها عن أرواحهم وأموالهم، ويستجرون فوائد دنيوية ﴿أَلَّا يَأْتِيَهُمُ اللَّهُمُّ الْكَاذِبُونَ﴾ البالغون الغاية في الكذب.

﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١٩).

﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي استولى عليهم ﴿فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ بحيث لم يذكروه بقلوبهم، ولا بالسننهم ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر من القبائح ﴿حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ أي جنوده وأتباعه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

(١) سورة النحل، آية: ٨٨.

حيث فوّتوا على أنفسهم النعيم المقيم، وأخذوا العذاب الأليم، وعلامة استحواذ الشيطان على الإنسان أن يشغله بأشياء ظاهرة، من الملابس والمآكل، ويشغل قلبه عن ذكر الله، بتدبير الدنيا وجمعها، ولسانه عن الذكر والقراءة، بالكذب وقبيح الأقوال.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذْلَلِينَ ﴾ (٢٠)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ ﴾ أي يخالفون أمر الله وأمر رسوله، ويعادون دين الله بالإعراض عنه، والاستهزاء به وبأحكامه ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ بما فعلوا من التولي، والموادة لأعداء الله ﴿ فِي الْأَذْلَلِينَ ﴾ أي في جملة من هو أذل خلق الله.

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٢١)

﴿ كَتَبَ اللَّهُ ﴾ أي قضى وحكم وأثبت في اللوح المحفوظ ﴿ لَأَغْلِبَ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ أي بالحجة، أو بالسيف، وما يجري مجراه، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۚ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (١) ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ قويٌّ على نصر أنبيائه وأوليائه، عزيز: أي قاهر لا يُغلب في مراده.

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۗ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢٢)

(١) سورة الصافات، آية: ١٧١.

﴿ لَا يَحَدُّ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾  
الخطاب للرسول ﷺ أو لكل أحد، أي لا تصادف قوماً جامعين بين الإيمان بالله، واليوم الآخر، وبين موادة أعداء الله ورسوله، على معنى أنه لا ينبغي أن يتحقق ذلك، وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال ﴿ وَلَوْ كَانُوا ﴾ أي من حادَّ الله ورسوله ﴿ ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ أي آباء المودين، فإن قضية الإيمان أن يهجر الجميع بالمرة ﴿ أَوْلِيَّكَ ﴾ إشارة إلى الذين لا يوادونهم وإن كانوا أقرب الناس إليهم ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ أي أثبتته، ورسَّخه فيها، فهم المؤمنون الصادقون في إيمانهم ﴿ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ أي من عند الله وهو نور القلب، وتأيد الرحمن. ﴿ وَيَدَّخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ رضي الله عنهم جارٍ مجرى التعليل، لما أفاض عليهم من آثار رحمته ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ بما أوتوه عاجلاً وأجلاً ﴿ أَوْلِيَّكَ حِزْبُ اللَّهِ ﴾ تشريف لهم ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة الدارين، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في «أبي عبيدة بن الجراح» قتل أباه يوم أحد و «عمر بن الخطاب» قتل خاله يوم بدر، و «مصعب بن عمير» قتل أخاه يوم بدر»<sup>(١)</sup> قال سهل: من صحَّح إيمانه، وأخلص توحيده، لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه، ويظهر من نفسه العداوة، ومن داهن مبتدعاً لطلب عزِّ الدنيا، أذله الله، والله أعلم بمراده، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة المجادلة»

\*\*\*

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣٥٢/٤.

## سُورَةُ الْحَشْرِ

مدنية آيها أربع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي نزه الله كل ما في الكون من بشر، ونبات، وجماد، وهو الغالب في ملكه، الحكيم في صنعه.

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ ﴿٢﴾

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ بيان لبعض آثار عزته تعالى، والضمير راجع إليه تعالى، وفيه إشعار بأن في الإخراج حكمة باهرة، روي أنه ﷺ لما قدم المدينة صالح بني النضير، وهم رهط من اليهود، وعاهدتهم أن لا يكونوا له ولا عليه، فلما كان يوم أحد نكثوا فخرج «كعب بن الأشرف» في أربعين راكباً إلى مكة، فحالفوا قريشاً عند

الكعبة، على قتاله ﷺ، فأمر ﷺ «محمد بن مسلمة» الأنصاري فقتل كعباً غيلة، ثم صبَّحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة، فاستمهلوه عشرة أيام ليتجهزوا للخروج، فدرس عبد الله بن أبي وأصحابه إليهم: ألا تخرجوا من الحصون، فإن قاتلوكم فنحن معكم، فحاصرهم النبي ﷺ إحدى وعشرين ليلة، فلما قذف الله في قلوبهم الرعب، وأيسوا من نصر المنافقين، طلبوا الصلح، فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم، فجلوا إلى الشام، فأنزل الله هذه السورة إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ﴿لَأَوَّلُ الْحَشْرِ﴾ الحشر هو إخراج الجمع من مكان إلى مكان، وهم أول من أخرج من جزيرة العرب إلى الشام، وآخر حشرهم إجلاء عمر رضي الله عنه إياهم من خيبر ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿أَن يَخْرُجُوا﴾ من ديارهم بهذه الذلة، لشدة بأسهم، وقوة منعتهم ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانَعَتْهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي ظنوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله، لاعتقادهم أنهم في منعة، لا يُبالي معها بأحد ﴿فَأَنزَلْنَا اللَّهُ﴾ أي أمر الله وقدره المقدر لهم ﴿مِن حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ ولم يخطر ببالهم، وهو قتل رئيسهم، فإنه مما أضعف قوتهم ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ أي أثبت فيها الخوف الذي يربعها أي يملؤها فزعاً ﴿يُخْرِطُونَ بِيُوْتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ لیسدوا بها أفواه الأزقة، ولثلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ حيث كانوا يخربونها إزالة لمتحصنهم، وتوسيعاً لمجال القتال ﴿فَاعْتَبِرُوا يٰٓأَقْرَبَ الْأَبْصَارِ﴾ فاتعظوا بما جرى عليهم من الأمور الهائلة، واتقوا مباشرة ما أدهم إليه من الكفر والطغيان، وفي الآية دليل على جواز القياس.

﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبْنَا فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ  
عَذَابُ النَّارِ﴾.

﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ أي الخروج عن أوطانهم مع الأهل  
﴿لَعَذَّبْنَا فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي، كما فعل بنو قريظة ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾

عَذَابُ النَّارِ ﴿ وهو لبيان أنهم إن نجوا من عذاب الدنيا بالجلاء، لا نجاة لهم من عذاب الآخرة بنار الجحيم.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٤﴾ .

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي ما حاق بهم ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ أي بسبب أنهم ﴿ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ ﴾ أي خالفوه وفعلوا ما فعلوا مما حكى عنهم والاقصرار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها مشاقته ﷺ وليوافق قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمْهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ۝٥﴾ .

﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ ﴾ اللينة: النخلة الكريمة، أي أي شيء قطعتم من نخلة كريمة ﴿ أَوْ تَرَكْتُمْهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا ﴾ كما كانت من غير أن تتعرضوا لها بشيء ﴿ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أي بأمر الله تعالى وإرادته ﴿ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ﴾ أي وليذل اليهود ويغيظهم، واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة، وقطع أشجارهم، روي أن اليهود قالوا: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد، فما بال قطع النخل، وكان في أنفس المؤمنين من ذلك شيء، فنزلت هذه الآية.

﴿ وَمَا آفَاةَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ .

﴿ وَمَا آفَاةَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴾ أي ما أعاده إليه من مالهم، وفيه إشعار بأنه كان حقيقاً بأن يكون له ﷺ، وإنما وقع في أيديهم بغير حق، فأعاده الله تعالى إلى مستحقه، لأنه تعالى خلق الناس، وخلق ما خلق ليتوسلوا به

إلى طاعته، فهو جدير بأن يكون للمطيعين ﴿ مِنْهُمْ ﴾ من أهل النضير ﴿ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي لم تسرعوا الخيل ولم تتعبوا في تحصيله، من الوجيف وهو سرعة السير ﴿ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾ هي ما يركب من الإبل خاصة، كما أن الراكب عندهم راكبها لا غير، وأما راكب الفرس فإنما يسمونه فارساً، ولا واحد لها من لفظها، وإنما الواحدة منها راحلة، والمعنى: ما قطعتم لها شقة بعيدة، ولا لقيتم مشقة شديدة، ولا قتالاً شديداً، وذلك لأنه كانت قراهم على ميلين من المدينة، فمشوا إليها وما كان فيهم راكب إلا النبي ﷺ، فافتتحها صلحاً، من غير أن يجري بينهم مسابقة، كأنه يقول: وما أفاء الله على رسوله منهم، فما حصلتموه بكذب اليمين، وعرق الجبين ﴿ وَلَئِنْ أَلَّهَ يَسْلُطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ﴾ أي سننه تعالى جارية على أن يسלט رسله على من يشاء من أعدائهم، تسليطاً خاصاً، وقد سلط النبي ﷺ على هؤلاء تسليطاً غير معتاد، من غير أن تقتحموا مضايق الخطوب، فلا حق لكم في أموالهم، فالأمر فيه مفوض إليه ﷺ يضعه حيث يشاء، قيل: إن الصحابة طلبوا من الرسول ﷺ أن يقسم الفيء كما قسم الغنيمة، فذكر الله تعالى الفرق بين الأمرين، فقسمها بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة منهم لفقرهم، وعن بعض المفسرين أن هذه الآية ما نزلت في بني النضير، لأنهم أوجفوا عليهم وحاصروهم، بل هو في «فدك» لأن أهل فدك انجلوا عنها، فصارت تلك القرى والأموال في يد رسول الله ﷺ من غير حرب، فكان ﷺ يأخذ من غلة فدك نفقته، ونفقة من يعوله، ويجعل الباقي في السلاح والخيل ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فيفعل ما يشاء كما يشاء.

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ﴿٧﴾

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ﴾ أعاد عين العبارة الأولى، لزيادة

التقرير والبيان، أي ما جعله الله غنيمَةً للمسلمين بغير قتال، وهو ما يسمى بالفِيء ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِنِ السَّبِيلِ﴾ اختلف في قسمة الفيء، فقيل يصرف حقُّ الله إلى عمارة الكعبة المشرفة، وسائر المساجد، وقيل: يُخَمَّسُ لأن ذكر الله للتعظيم، ويصرف سهم الرسول إلى العساكر والثغور وإلى مصالح المسلمين ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ بضم الدال، وهي ما يدول للإنسان أي يدور من المال والغنى والغلبة، أي كيلا يكون محبوساً ﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ أي كيلا يكون الفيء شيئاً يتداوله الأغنياء بينهم، فلا يصيب الفقراء منه شيء، كما كان الأمر في الجاهلية، حيث كانوا يقولون: من عَزَّ بَزَّ، أي من غلب سلب المال والدولة: اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ﴾ أي وما أعطاكم الرسول من الأمر ﴿فَخُذُوهُ﴾ أي فتمسكوا به فإنه واجب عليكم ﴿وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ﴾ أي نهاكم عن فعله ﴿فَأَنْهَوْا﴾ أي فكفوا عنه، وعن تعاطيه واجتنبوه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مخالفته ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فيعاقب من يخالف أمره أو نهيه، والآية عامة في كل ما أمر رسول الله ﷺ ونهى عنه، والفيء داخل فيها.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (A)

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ أي إنما كان الفيء خاصاً بهؤلاء الفقراء المهاجرين لحاجتهم واضطرارهم ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ حيث اضطرتهم كفار مكة إلى الخروج من الوطن، فخرجوا منه ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ أي طالبين منه تعالى رزقاً في الدنيا، ومرضاةً في الآخرة، وصدقوا أولاً بما يدل على استحقاقهم للفيء، من الإخراج من الديار والأموال، وثانياً بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكدده، وهو أن خروجهم لم يكن للدنيا، وإنما كان نصرةً للدين وطلباً لمرضاة الله ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ﴾ الموصوفون بما فضّل من الصفات الحميدة ﴿هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أي الراسخون في الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهوراً بيناً.

إنه تعالى وصفهم بأمور: ١ - أنهم فقراء ٢ - مهاجرون ٣ - أخرجوا من ديارهم ٤ - يبتغون من فضله تعالى ٥ - ينصرون الله ٦ - أولئك هم الصادقون.

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤﴾ ﴾ .

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ ﴾ كلام مسوق لمدح الأنصار بخصال حميدة، من جملتها محبتهم للمهاجرين، ورضاهم باختصاص الفيء بهم أحسن رضا، ومعنى تبوئهم الدار أنهم اتخذوا المدينة ﴿ وَالْإِيمَانَ ﴾ مباءة، وتمكنوا فيها أشد تمكن، على تنزيل الحال منزلة المكان، وقيل المعنى: تبوؤوا دار الهجرة، ودار الإيمان، سمى المدينة بالإيمان لكونها منشأ ﴿ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي من قبل هجرة المهاجرين، فإنهم أسلموا في ديارهم، وآثروا الإيمان، وابتنوا المساجد، قبل قدوم النبي ﷺ بستين ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ حتى شاركهم أموالهم، وأنزلوهم منازلهم، ونزل من كانت له امرأتان عن إحداهما، حتى يتزوج بها رجل من المهاجرين ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ ﴾ أي في نفوسهم ﴿ حَاجَةً ﴾ أي شيئاً محتاجاً إليه، بمعنى الضيق والنعمة على إخوانهم المهاجرين ﴿ مِمَّا أُوتُوا ﴾ أي مما أولي المهاجرون من الفيء وغيره ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ﴾ أي يقدمون المهاجرين على أنفسهم في كل شيء من أسباب المعاش ﴿ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ أي ولو كان بهم فقر وحاجة، وكان النبي ﷺ قسم أموال بني النضير على المهاجرين، ولم يعط الأنصار شيئاً إلا ثلاثة نفر لفقرهم، قال لهم رسول الله ﷺ: إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم، وشاركتموهم في هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم، ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة، فقالت الأنصار: بل نقسم من أموالنا وديارنا، ونؤثرهم بالغنيمة، ولا

نشارككم فيها، فنزلت الآية تنبي عليهم ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ ومن يوق بتوفيق الله تعالى بخل نفسه حتى يخالفها ﴿فَأُولَئِكَ﴾ إشارة إلى «مَنْ» باعتبار معناها العام ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الفائزون بكل مطلوب والناجون عن كل مكروه، عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم»<sup>(١)</sup>.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ هم التابعون بإحسان، وهم المؤمنون بعد الفريقين إلى يوم القيامة، ولذلك قيل إن الآية قد استوعبت جميع المؤمنين ﴿يَقُولُونَ﴾ إلخ مسوق لمدحهم لمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين، ومراعاتهم لحقوق الأخوة في الدين؛ أي يدعون لهم ويقولون ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ أي لإخواننا في الدين، الذي هو أعز وأشرف عندهم من النسب، وصفوهم بذلك اعترافاً بفضلهم ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ أي حقدًا وحسدًا ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ على الإطلاق ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي مبالغ في الرأفة والرحمة، فحقيق بأن تجيب دعاءنا، بين الله تعالى أن من جاء بعد المهاجرين والأنصار، يذكرون السابقين بالدعاء والرحمة، فمن لم يكن كذلك، بل ذكرهم بسوء كان خارجاً من جملة أقسام المؤمنين، بحسب نص هذه الآية، عن عروة بن الزبير قال: قالت عائشة رضي الله عنها: «يا ابن أختي!! أمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول

(١) الحديث أخرجه مسلم رقم ٢٥٧٨ باب تحريم الظلم.

الله ﷺ، فسبّوهم، فأولئك شرار الخلق عند الله»<sup>(١)</sup> وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبّوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً، ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»<sup>(٢)</sup>.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الأقوال الكاذبة، وتعجب منها بعد حكاية محاسن أحوال المؤمنين وأقوالهم، والخطاب للرسول ﷺ، أو لكل أحد ﴿ يَقُولُونَ ﴾ صيغة المضارع للدلالة على الاستمرار ﴿ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ والمراد بإخوتهم توافقهم في الكفر، وموالاتهم لهم في الضلال ﴿ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ ﴾ من دياركم قسراً ﴿ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ﴾ جواب القسم، أي والله لئن أخرجتم لنخرجن معكم أينما ذهبتم ﴿ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ ﴾ أي في شأنكم ﴿ أَحَدًا ﴾ يمنعنا من الخروج معكم ﴿ أَبَدًا ﴾ وإن طال الزمان ﴿ وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ ﴾ أي لنعاوننكم على عدوكم ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ في مواعيدهم المؤكدة بالأيمان الفاجرة، وفيه إخبار بالغيب.

﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَّيْنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصَرُّونَ ﴾

(١) الحديث أخرجه مسلم في التفسير رقم ٣٠٢٢ وفي رواية للترمذي «إذا رأيتم الذين يسبّون أصحابي، فقولوا: لعنة الله على شرکم».

(٢) الحديث أخرجه البخاري ٢٨/٧ ومسلم رقم ٢٥٤١ في فضائل الصحابة.

﴿لَيْنٌ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ تكذيب لهم في كل واحد من أقوالهم على التفصيل، بعد تكذيبهم على الإجمال ﴿وَلَيْنٌ قُوتَلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ وكان الأمر كذلك فإن ابن سلول وأصحابه أرسلوا إلى «بني النضير» ذلك سراً، ثم أخلفوهم، وفيه حجة بينة لصحة النبوة، وإعجاز القرآن ﴿وَلَيْنٌ نَّصَرُوهُمْ﴾ على الفرض والتقدير ﴿لِيُؤْتِيَ الْأَذْبَانَ نَمًّا لَا يُنصَرُونَ﴾ أي المنافقون بعد ذلك، أي يهلكهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم، ثم قال تعالى للمؤمنين:

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١٣)

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً﴾ أي أشد خشية وخوفاً ﴿فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي رهبتهم في السر أشد ممّا يظهره لكم من رهبة الله، فإنهم كانوا يدعون عندكم رهبة عظيمة من الله تعالى ﴿ذَلِكَ﴾ أي ما ذكر من كون رهبتهم منكم أشد من رهبة الله ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي شيئاً حتى يعلموا عظمة الله تعالى وجلاله، فيخشوه حق خشيته.

﴿لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٤)

﴿لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ أي اليهود والمنافقون، لا يقدرّون على قتالكم مجتمعين، في موطن من المواطن ﴿إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ﴾ بالدروب والخنادق لفرط جنّهم وهلعهم ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ أي من وراء الأسوار والحيطان، دون أن يظهروا أمامكم ويبارزوكم، لفرط رهبتهم ﴿بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي ما ذكر من رهبتهم منكم، ليس لضعفهم وجنّهم في

أنفسهم، فإن بأسهم بالنسبة إلى أقرانهم شديد، وإنما جنبهم بالنسبة إليكم بما قذف الله تعالى في قلوبهم من الرعب ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي مجتمعين ومتفقين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ متفرقة، لا ألفة بينهم، لافتراق عقائدهم، واختلاف مقاصدهم ﴿ذَلِكَ﴾ أي ما ذكر من تشتت قلوبهم ﴿يَأْتَهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ شيئاً حتى يعرفوا الحق، ويتبعوه، وتطمئن به قلوبهم، وتتحد كلمتهم، وهذا تشجيع للمؤمنين على قتالهم.

﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي مثل اليهود كمثل كفار مكة الذين خرجوا لقتال رسول الله ﷺ في بدر ﴿قَرِيبًا﴾ أي في زمان قريب ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فحال اليهود هكذا، وأما حال المنافقين، فهو ما نطق به قوله تعالى.

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ أي مثل المنافقين الذين غرّوا الكفار كمثل الشيطان ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ إغراء على الكفر ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾ فهذا التبري يكون يوم القيامة، كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ أي أخاف عذاب الله وانتقامه، إن كفرتُ به، وهو كاذب في هذا القول، لأنه لو خاف الله لما عصاه.

﴿ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴾ .

﴿ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا ﴾ أي عاقبة الكافر والشيطان ﴿أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ

فِيهَا ﴿ أَي دَائِمِينَ فِي النَّارِ الْمُؤَبَّدَةِ ﴾ وَذَلِكَ ﴿ أَيِ الْخُلُودِ فِي النَّارِ ﴾ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿ أَيِ عِقَابِهِ كُلِّ ظَالِمٍ فَاجِرٍ، مُنْتَهَكٍ لِمَحَارِمِ اللَّهِ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فِي كُلِّ مَا تَأْتُونَ وَمَا تَذَرُونَ ﴿ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ أَيِ أَيِّ شَيْءٍ قَدَّمَتْ مِنَ الْأَعْمَالِ، لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، عِبْرَةً عَنِه بِالْغَدِ لِذَنُوبِهِ وَقُرْبِ مَجِيئِهِ، أَوْ لِأَنَّ الدُّنْيَا كِيَوْمٍ، وَالْآخِرَةُ غَدُهُ، وَتَنْكِيْرُهُ لِلتَّفْخِيمِ وَالتَّهْوِيلِ ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ تَكَرَّرَ لِلتَّأْكِيدِ ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ مِنَ الْمَعَاصِي، وَفِيهِ تَحْرِيزٌ عَلَى الْمِرَاقَبَةِ .

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴾ ﴿١٩﴾ .

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ ﴾ أَيِ نَسُوا حَقُوقَهُ وَمَا قَدَرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَلَمْ يَرَاعُوا أَمْرَهُ وَنَوَاحِيَهُ ﴿ فَأَنْسَهُمْ ﴾ بِسَبَبِ ذَلِكَ ﴿ أَنْفُسَهُمْ ﴾ أَيِ جَعَلَهُمْ نَاسِينَ لَهَا، فَعَاشُوا كَالْبَهَائِمِ وَالأَنْعَامِ، حَتَّى لَمْ يَسْمَعُوا مَا يَنْفَعُهَا، وَلَمْ يَفْعَلُوا مَا يَخْلُصُهَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴾ أَيِ الْكَامِلُونَ فِي الْفِسْقِ وَالعِصْيَانِ .

﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفٰرِحُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ .

﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ الَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَاسْتَحَقُّوا الْخُلُودَ فِي نَارِ السَّعِيرِ ﴿ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ أَيِ لَا يَتَسَاوَى هُوْلَاءُ وَهُوْلَاءُ ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ ﴾

الْقَائِرُونَ ﴿ أي هم السعداء، الفائزون بكل مطلوب، فالجملة مبيّنة لكيفية عدم الاستواء.

﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ .

﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ أي جبلٍ من الجبال، مع كونه علماً في القسوة، وعدم التأثير مما يصادمه، أي لرأيته متشققاً من خشية الله تعالى، وهذا تمثيلٌ وتخيلٌ، لعلو شأن القرآن الكريم، وقوة تأثير ما فيه من المواعظ ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أريد به توبيخ الإنسان على قسوة قلبه، وعدم تخشعه عند تلاوته، وقلة تدبره فيه.

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ .

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ أي ما غاب عن الحسِّ وما حضر له، وتقديم الغيب لتقدمه في الوجود ﴿ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾.

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ .

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي لا معبود بحق سواه، كرره لإبراز الاعتناء بأمر التوحيد ﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾ البليغ في النزاهة، النزاهة في الذات، والصفات والأفعال، والأحكام، والأسماء ﴿ السَّلَامُ ﴾ ذو السلامة

من كل نقص ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ أي واهب الأمن ﴿الْمُهَيِّمُ﴾ أي الرقيب الحافظ ﴿الْعَزِيزُ﴾ أي الغالب ﴿الْجَبَّارُ﴾ الذي جبر خلقه على ما أراد ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصاناً ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من الزوجة والولد، والشريك والنظير.

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ﴾ المقدر للأشياء على مقتضى حكمته ﴿الْبَارِئُ﴾ الموجد لها بريئاً من التفاوت ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ الموجد لصورها وكيفيتها كما أراد ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ لدلالاتها على المعاني الحسنة ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي ينزهه تبارك وتعالى جميع ما في الكون، ناطقه وجامده، بلسان الحال أو المقال، وهو العزيز في ملكه، الحكيم في صنعه. عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكَلَّ اللَّهُ به سبعين ألف ملك، يصلون عليه حتى يمسي، فإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قالها حين يمسي كان كذلك»<sup>(١)</sup> والله أعلم بالصواب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الحشر»

\* \* \*

(١) أخرجه الترمذي في ثواب القرآن رقم ٢٩٢٣ وقال: هذا حديث غريب، ورواه الدارمي ٤٥٨/٢ وانظر جامع الأصول ٤٨٢/٨.



# سُورَةُ الْمُتَحَنَّنِ

مدنية وآيها ثلاث عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ .

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فيه دليل على أن الكبيرة لا تسلب اسم الإيمان عن صاحبها ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوْلِيَاءَ﴾ نزلت في «حاطب بن أبي بلتعة» وذلك أنه لما جهز رسول الله ﷺ لغزوة الفتح، كتب حاطب إلى أهل مكة أن رسول الله ﷺ يريدكم، فخذوا حذرکم، وأرسله مع سارة مولاة بني المطلب، فنزل جبريل عليه السلام بالخبر على رسول الله ﷺ، روى البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب قال: بعثني ﷺ أنا والزبير، والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة<sup>(١)</sup> معها كتاب فخذوه منها، قال: فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا، حتى أتينا الروضة فإذا نحن

(١) ظعينة أي امرأة مسافرة.

بالظعينة، فقلنا لها: أخرجني الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب!! فقلنا: لُخْرِجَنَّ الكتابُ أو لتلقينَ الثياب، فأخرجته من عقاصها - ضفائر شعرها - فأتينا به النبي ﷺ، فإذا فيه «من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ، فقال ﷺ: يا حاطب ما هذا؟ فقال: يا رسول الله لا تعجل عليّ، إني كنت امرأاً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين، لهم قرابات، يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلته كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا أرضى بالكفر بعد الإسلام!! فقال ﷺ: إنه قد صدّقكم، فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: إنه قد شهد بدرأ، وما يدريك لعلّ الله أطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟! ففاضت عينُ عمر رضي الله عنه، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (١) الآية ﴿تَلْقَوْنَ﴾ حال من الضمير في ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ والتقدير: لا تتخذوهم أولياء ملقين ﴿إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ﴾ أي تطلعونهم وتلقون إليهم أخبار النبي ﷺ، بسبب المودة التي بينكم وبينهم ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي وقد كفروا بدينكم وقرآنكم ﴿يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ تعليل للنهي عن الموالاة، أي يخرجون رسول الله من وطنه، ويخرجونكم من مكة لإيمانكم ﴿إِن كُنتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ أي لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ﴾ كلام وارد على نهج العتاب والتوبيخ، أي تفشون إليهم الأخبار بسبب المودة ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ﴾ أي والحال أنني أعلم منكم بما أخفيتم، ولم يقل «بما أسررتم» لأن الإخفاء أبلغ من الإسرار، دل عليه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ أي أخفى من السرِّ ﴿وَمَا أَعْلَمْتُمْ﴾ أي وما أظهرتموه، فأنا عالم بسريرتكم

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٢٠٠/٣، والترمذي رقم ٣٣٠٥.

وعلايتكم، ومطلعٌ رسولي على ما تسرون، فأبى طائلٌ لكم في الإسرار؟! ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي إلقاء المودة إليهم، فقد أخطأ طريق الصواب.

﴿إِنْ يَشْفِقُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿إِنْ يَشْفِقُوكُمْ﴾ أي يظفروا بكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ أي يظهرون لكم ما في نفوسهم من خالص العداوة، ولا ينفعكم إلقاء المودة إليهم ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ بالقتل، والشتم، والأسر ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أي تمنوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم، فإن مادة أمثالهم خطأ عظيم منكم، وصيغة الماضي لتحقق ودادتهم الكفر قبل ذلك.

﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ قراباتكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ الذين توألون الكفار من أجلهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بجلب نفع، أو دفع ضرر ﴿يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ﴾ وبين أقاربكم وأولادكم، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ الآية، فما لكم ترفضون حق الله، مراعاةً لحق من يفر منكم غداً ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم عليه.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ قدوة في التبرؤ من الأهل أي خصلة حميدة، حقيقة بأن يُؤتسى ويُقتدى بها ﴿ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ أي من أصحابه المؤمنين به ﴿ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمُ الْمُشْرِكِينَ ﴾ إِنَّا بَرَاءٌ وَأُوْمِنُكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴿ أَي مِنَ الْأَصْنَامِ ﴾ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴿ أَي بدينكم وبمعبودكم ﴾ وَيَدَّابِينَا وَيَبْنَتِكُمُ الْعَدَاوَةَ ﴿ بِالْأَفْعَالِ ﴾ وَالْبَغْضَاءُ ﴿ بِالْقُلُوبِ ﴾ أَبَدًا ﴿ هَذَا دَابْنَا لَا نَتْرُكُهُ مَا دَمْتُمْ عَلَى الْكُفْرِ ﴾ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴿ وَتَرَكُوا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرْكِ، فَتَنْقَلِبُ الْعَدَاوَةُ حِينَئِذٍ وَلايَةً، وَالْبَغْضَاءُ مَحَبَةً ﴾ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴿ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴾ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿ فَإِنْ اسْتَغْفَرَهُ لِأَبِيهِ الْكَافِرِ، وَإِنْ كَانَ جَائِزًا عَقْلًا وَشَرْعًا، لَوْقُوعِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ، كَمَا نَطَقَ بِهِ النَّصُّ: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ فَهَذَا مِمَّا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُؤْتَى بِهِ أَصْلًا ﴿ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ مِنْ تَمَامِ الْمُسْتَشْنَى أَي اسْتَغْفِرْ لَكَ، وَلا يَسِي فِي طَاقَتِي إِلَّا الِاسْتِغْفَارَ ﴿ رَبَّنَا عَلَيْنَا نُوَكَّلْنَا ﴾ مِنْ تَمَامِ مَا نَقَلَ عَنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَي وَقُولُوا فِي دَعَائِكُمْ كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمَ: رَبَّنَا عَلَيْكَ اعْتَمَدْنَا فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا ﴿ وَإِلَيْكَ أُنَبِّئُكَ ﴾ أَي أَقْبَلْنَا وَرَجَعْنَا ﴿ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ أَي الْمَرْجِعُ فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا.

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْرِضْنَا لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أَي لا تسلطهم علينا فيفتنوننا بعداب لا نحتمله ﴿ وَاعْرِضْنَا ﴾ ما فرط منا ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الذي لا يذل من التجأ إليه، ولا يخيب رجاء من توكل عليه، وتكرار النداء للمبالغة في التضرع.

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفِيفُ الْحَمِيدُ ﴾ .

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ أي قدوة حسنة في معاداة الكفار، في إبراهيم ومن معه من المؤمنين، كرهه للمبالغة في الحث على التأسى به عليه السلام، ولذلك صدر بالقسم ﴿ لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ أي لمن كان صادق الإيمان، يرجو ثواب الله، ويخاف عقابه، وفائدته الإيذان بأن من يؤمن بالله واليوم الآخر، لا يترك الاقتداء بهم، وأن تركه من مخايل عدم الإيمان بهما، كما ينبيء قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ فإنه مما يوعد بأمثاله الكفرة، ولما نزلت هذه الآية، وتشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من المشركين، أطمعهم تعالى في تحول الحال إلى خلافه، فقال سبحانه:

﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ ﴾ أي من أهل مكة من أقربائكم ﴿ مَوْدَّةً ﴾ بأن يوفقهم الله للإيمان، فلما يسر الله فتح مكة، أسلم قومهم، وتم بينهم التحاب، تحقيقاً لوعده الله الكريم، و «عسى» وعد من الله تعالى على عادات الملوك ﴿ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ﴾ على تحويل الحال، وتقليب القلوب، وتسهيل أسباب المودة ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ أي يغفر لكم ما فرط منكم، في موالاتهم من قبل.

﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ ﴾ أي

تكرمهم، وتحسنوا إليهم، قولاً وفعلاً ﴿وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ ولا تظلموهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي العادلين، وإذا نهى الله تعالى عن الظلم في المشرك، فكيف في المسلم؟.

﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ .

﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾ أي إنما يحذرکم الله من موالاته من حاربکم، وقاتلکم، وأذاکم بسبب الدين، وأخرجکم من وطنکم ﴿وَوَظَّاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ﴾ أي وأعانوا أعداءکم الکفار علیکم أن تتخذوهم أولیاء وأنصاراً وأحباباً ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لوضعهم الولاية في غير موضعها.

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلَّمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَايْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ وَسَلُّوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَسْتُمْ لَهَا فَتًى فَذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَخُفُّكُمْ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ .

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ ﴾ من بين أظهر الكفار ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ فاختبروهن، بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن للسانين في الإيمان، سمَّهن مؤمنات لنطقهن بكلمة الشهادة، يروى أن رسول الله ﷺ كان يقول للتي يمتحنها: «قولي بالله الذي لا إله إلا هو، ما خرجت من بغض زوج، وما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ورسوله» نزلت الآية بعد صلح الحديبية، وكان الصلح قد وقع على أن يرد على أهل مكة من جاء مؤمناً منهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، بياناً أن

ذلك في الرجال لا في النساء، لأن المسلمة لا تحل للكافر ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ منكم لأنه المطلع على ما في قلوبهن ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾ بعد الامتحان ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ علماً يمكنكم تحصيله، وتبلغه طاقتكم، بعد الاستدلال بالعلامم والدلائل، وهو الظن الغالب، وتسميته علماً للإيدان بأنه جار مجرى العلم، في وجوب العمل به، وما يفضي إليه الاجتهاد كذلك جار مجرى العلم ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ إلى أزواجهن الكفرة، لقوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ أي لا حل بين المؤمنة والمشرك، لوقوع المفرقة بينهما، بخروجها مسلمة ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ التكرير لتأكيد الحرمة، أو لأن الأول لبيان زوال النكاح، والثاني لبيان امتناع النكاح الجديد ﴿وَمَا أَنفَقُوا﴾ أي وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا إليهن من المهور، وذلك لأن الصلح جرى على أن من جاءنا منكم رددناه، فلما تعذر ردهن عليهم لورود النهي عنه، لزم رد مهورهن، روي أنه ﷺ بعد صلح الحديبية جاءته «سبيعة بنت الحارث» مسلمة، فأقبل زوجها المخزومي طالباً لها، فنزلت الآية، فاستحلفها رسول الله ﷺ فحلفت، فأعطى زوجها ما أنفق، وتزوجها عمر رضي الله عنه ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ فإن إسلامهن حال بينهن وبين أزواجهن الكفرة ﴿إِذَاءَ الْيَتْمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾ أي مهورهن، لأن المهر أجر البضع، وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله على أن لا عدة على المهاجرة ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ جمع عصمة، أي لا يكن بينكم وبين المشركات عصمة، ولا علاقة زوجية، والكوفار جمع كافرة، وهي التي بقيت في دار الحرب، أو لحقت بها، نهى الله تعالى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات، قال الزهري: لما نزلت هذه الآية، طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا بمكة مشركتين ﴿وَسْتَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ﴾ من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار ممن تزوجها ﴿وَلَسْتَلُوا مَا أَنفَقُوا﴾ من مهور أزواجهم المهاجرات ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكر ﴿حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أي شرعه العادل بينكم وبين أعدائكم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة.

﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١١﴾ .

﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ ﴾ أيها المؤمنون، أي وإن انفلت ﴿ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ أي أحد من أزواجكم إلى الكفار فلحقن بهم مرتدات، وإيقاع ﴿ شَيْءٍ ﴾ موقعه للتحقير، ﴿ فَعَاقِبْتُمْ ﴾ أي فجاءت عُقْبَتكم أي نوبتكم، من أداء المهر، والعُقْبَةُ بالضم: النَّوْبَةُ، جمعه عُقَب، مثل عُرفة وُعُرف، شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين، من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة، وأداء هؤلاء أخرى، بأمير يتعاقبون فيه، كما يتعاقب الناس في الركوب ﴿ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا ﴾ من مهر المهاجرة التي تزوجتموها، ولا تؤتوا زوجها الكافر، وقيل معناه: إن فاتكم شيء فأصبتم من الكفار عقبى هي الغنيمة، فاتوا بدل الفاتت من الغنيمة، روي أنه لما نزلت الآية السالفة أدى المؤمنون ما أمروا به من مهور المهاجرات إلى أزواجهن المشركين، وأبى المشركون أن يؤدوا شيئاً من مهور الكوافر، إلى أزواجهن المسلمين، فنزلت هذه الآية ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ فإن الإيمان به تعالى، يقتضي التقوى منه والخوف والحذر، قال ابن عباس: لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين سئ نسوة، فأعطى رسول الله ﷺ أزواجهن مهور نسائهن من الغنيمة.

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْنِسْنَ بِبِهْتَنِ بَقَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَعْفَرَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿١٢﴾ .

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ ﴾ أي قاصدات للمبايعة، نزلت يوم الفتح، فإنه ﷺ لما فرغ من بيعة الرجال، شرع في بيعة النساء، وهو على

الصفة فجاءته النساء فقال ﷺ: «أبايعهن ﴿عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ من الإِشْرَاق ﴿وَلَا يُسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾ أي لا يفعلن جريمة السرقة والزنى ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ أريد به وأد البنات ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتِنٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ كانت المرأة تلتقط المولود، فتقول لزوجها: هو ولدي منك، كَتَىٰ عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها، لأنَّ بطنها الذي تحمله بين يديها، ومخرجه بين رجليها ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أي فيما تأمرهن بمعروف، والتقيدُ بالمعروف، للتنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق، وقال ابن المسيب: ممَّا تأمرهنَّ به، وتنهاهنَّ عنه، كالنوح، وتمزيق الثياب، وجزَّ الشعر، ولا تحدث الرجال إلا إذا كان ذا رحم محرم، ولا تخلو برجل غير محرم، وتخصيص الأمور المعدودة بالذكر، لكثرة وقوعها فيما بين النساء ﴿فَبَايَعَهُنَّ﴾ أي على ما ذكر وعلى سائر أركان الدين ﴿وَأَسْتَعْفَرَهُنَّ اللَّهُ﴾ زيادة على ما في ضمن المبايعة، فإنها عبارة عن طلب الثواب، بمقابلة الوفاء بالأمور المذكورة من قبلهن ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي مبالغ في المغفرة والرحمة، فيغفر لهن ويرحمهن، إذا وفين بما بايعن عليه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية، وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط»<sup>(١)</sup>.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾<sup>(١٣)</sup>.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ هم عامة الكفرة،

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٦٣٦/٨ وفيه قول عائشة رضي الله عنها: «ما يبايعهنَّ إلا بقوله: قد بايعتُك على ذلك، ولا والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة».

وقيل: اليهود، لما روي أنها نزلت في بعض فقراء المسلمين، كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم ﴿قَدْ يَيْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ من ثوابها، لكفرهم بها أو لعلمهم بأنهم لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة ﴿كَمَا يَيْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ أي كما يئس منها الذين ماتوا منهم، لأنهم وقفوا على حقيقة الحال، وشاهدوا حرمانهم من نعيمها وقيل: المعنى كما يئسوا من موتاهم أن يبعثوا أو يرجعوا إلى الدنيا أحياء. والله أعلم بالصواب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الممتحنة»

\* \* \*

# سُورَةُ الصَّفِّ

مدنية وآيها أربع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي مجد الله ونزهة كل ما في الكون من ملك، وإنسان، ونبات، وجماد، وهو العزيز في ملكه، الحكيم في صنعه.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ روي أنهم قالوا قبل أن يؤمروا بالجهاد: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناه، فلما نزلت آية الجهاد، تباطأ بعضهم، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup> ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ أي لأي شيء تقولون نفع، ما لا تفعلون من الخير والمعروف؟ والتوبيخ في الحقيقة

(١) أخرجه الترمذي في التفسير رقم ٣٣٠٩ قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله ﷺ، ورواه أحمد في المسند، وانظر تفصيل الروايات في تفسير ابن كثير ٣٨١/٤.

على عدم فعلهم، وإنما وجهها إلى قولهم، تنبيهاً على تضاعف معصيتهم،  
 بيان أن المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط، بل الوعد به أيضاً، ولو  
 قيل لم لا تفعلون ما تقولون، لفهم منه أن المنكر هو ترك الموعود.

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٣﴾ .

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ اختير لفظ المقت، لأنه  
 أشد البغض، ومن استوجب مقت الله لزمه العذاب، أي عَظُمَ فعلكم هذا  
 بغضاً عنده سبحانه، أن تتحدثوا بما لا تعملون.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَهُ بَيْنَهُ مَرِضُونَ ﴾ ﴿٤﴾ .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴾ أي يصفون أنفسهم  
 للقتال صفاً، وهذا صريح في أن ما قالوه، عبارة عن الوعد بالقتال، لا  
 عما يقوله الممتدح أو غيره ﴿ كَانَهُمْ بَيْنَهُ مَرِضُونَ ﴾ أي لاصق بعضهم  
 ببعض كقطعة واحدة (١).

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْلَمُونَ إِنِّي رَسُولُ  
 اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ﴿٥﴾ .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ﴾ كلام مفرّز لما قبله، من شناعة ترك  
 القتال، أي اذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال، وقت قول موسى لبني

(١) شبّههم تعالى في ثباتهم وصمودهم أمام الأعداء، بالبناء المحكم الرصين، الذي  
 رُصِفَتْ حجارتُه، فُرِصَ بعضها إلى بعض، حتى صار متماسكاً، كالسد المنيع، الذي  
 لا يتفكك ولا يتزعزع، ولا تؤثر فيه الأعاصير، وهو تشبيه رائع بديع ولهذا قال:  
 ﴿ كَانَهُمْ بَيْنَهُ مَرِضُونَ ﴾ !! .

إسرائيل، حين نذبهم إلى قتال الجبابرة بقوله: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فلم يمتثلوا أمره، وعصوه حيث قالوا: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ فأذوه كل الأذية ﴿يَقَوْمِ لِمَ تَوَدُّونَنِي﴾ بالمخالفة والعصيان فيما أمرتكم به؟! هذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم الكريم، ويرتضيه الذوق السليم، وأما ما قيل إنهم كانوا يؤذونه بأنواع الأذى من طلبهم رؤية الله، وغير ذلك، فمما لا تعلق له بالمقام ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ بما جئتكم به من المعجزات الواضحة، أي والحال أنكم تعلمون علماً قطعياً مستمداً بمشاهدة ما ظهر على يدي من المعجزات، أني رسول الله إليكم ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ أي أصروا على الزيف عن الحق ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي صرفها عن قبول الحق، لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال، وفيه تنبيه على عظم إيذاء الرسول فإنه يؤدي إلى الكفر، وزيف القلوب عن الهدى ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ هداية موصلة إلى معرفة الحق ﴿الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن الطاعة، ومنهاج الحق.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أي أرسلت إليكم حال كونني مصدقاً لرسالة موسى، ولما جاء في التوراة ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ أي ومبشراً بمن يأتي من بعدي من رسول اسمه أحمد، ويسمى أيضاً محمد<sup>(١)</sup>، وجاء في الإنجيل تسميته بالفازقليط

(١) ورد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب» أخرجه الشيخان، ومعنى العاقب الذي لا نبي بعده.

ومعناه الرسول الهادي، ففي إنجيل «يوحنا»: «هكذا وأنا أطلب لكم إلى أبي، حتى يمنحكم ويعطيكم «الفارقليط» وهو روح الحق اليقين» هذا لفظ الإنجيل المنقول إلى العربية، وفي مكان آخر: «أما الفارقليط روح القدس، يرسله أبي باسمي، ويعلمكم، ويمنحكم جميع الأشياء» ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالمعجزات الظاهرة ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ مشيرين إليه ﷺ وتسميتهم سحراً للمبالغة، ويؤيده قراءة ﴿هذا ساحر﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٧﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾؟ أي أيُّ الناس أشدُّ ظلماً ممن يدعى إلى الإسلام، فيضع موضع الإجابة الافتراء على الله، بقوله: ﴿هَذَا سِحْرٌ﴾؟ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا يرشدهم إلى ما فيه فلاحهم لظلمهم.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨﴾

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ أي يريدون أن يطفئوا دينه، ويبتلوا شريعة الإسلام ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بطعنهم فيه، شبهت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ أي مبلغه إلى غايته بنشره في الآفاق وإعلائه ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ذلك، فالإسلام منتصر رغم أنوف الكافرين.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ﴿٩﴾

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ﴾ بالقرآن أو المعجزة ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ أي الملة الحنيفية ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ ليعليه ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ على جميع الأديان

له، ولعمري لقد فعل ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك، فقد حقق الله وعده، فانتشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وعلا فوق جميع الأديان، والله الحمد والمِنَّة.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَحْرِيفِ نُجُجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ آلِيمٍ﴾ ﴿١٠﴾ .

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ عرض في معنى الأمر، كأنه يقول: آمنوا بالله وجاهدوا في سبيله بالأموال والأنفس ﴿عَلَىٰ تَحْرِيفِ﴾ هي التجارة بين أهل الإيمان، وبين الله تعالى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ ﴿شُجُجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ آلِيمٍ﴾ نزلت هذه الآية، حين قالوا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه؟  
ثم بيّن تعالى تلك التجارة. فقال:

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِجِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١١﴾ .

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِجِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ والمراد به الأمر، جيء بلفظ الخبر، إيذاناً بأن ذلك لا يُترك ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي ما ذكر من الإيمان والجهاد ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من أموالكم وأنفسكم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم لما تأخرتم عن البذل والجهاد.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٢﴾ .

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ جواب للأمر، المدلول عليه بلفظ الخبر ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ أي قصوراً عالية مريحة في

جنات إقامة ﴿ذَلِكَ﴾ ما ذكر من المغفرة، وإدخال الجنة ﴿الْفَوْزَ الْعَظِيمُ﴾ الذي لا فوز وراءه.

﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ .

﴿وَأُخْرَى﴾ أي تجارة أخرى ﴿تُحِبُّونَهَا﴾ وفي تحبونها تعريضٌ بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ هو ربح التجارة ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ هو فتح مكة، وفتح فارس والروم ﴿وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يارسول الله بشرهم، بما وعدتهم على ذلك عاجلاً وآجلاً.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُوًا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَن أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُوًا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ أي أنصار دينه، أمر بإدامة النصر، والثبات عليه، أي ودوموا على ما أنتم عليه من النصر ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَن أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾؟ أي من جندي متوجهاً إلى نصره دين الله والتشبيه باعتبار المعنى، أي انصروا دين الله، كما نصر الحواريون دين الله ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أي نحن أنصار دينه ﴿فَآمَنَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بعيسى عليه السلام ﴿وَكَفَرَتْ طَّائِفَةٌ﴾ به عليه السلام ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ بالحجة القاطعة، أو بالحرب، وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ فصاروا غالبيين، والله ولي المؤمنين، والله أعلم بالصواب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الصف»

\* \* \*

# سُورَةُ الْجُمُعَاتِ

مدنية أيها إحدى عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ  
 الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ العزيز في ملكه، الحكيم في صنعه.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾﴾

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ أي هو جلّ وعلا برحمته وحكمته، بعث في العرب رسولا من جملتهم، أمياً مثلهم، لا يقرأ ولا يكتب، وسموا أميين لأن أكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون، والحكمة في اقتصاره على ذكر الأميين، مع أنه رسول إلى كافة الخلق، تشريف العرب بأن خاتم النبيين ﷺ بعث منهم، وليس من بني إسرائيل ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ أي يقرأ عليهم آيات القرآن المبين، من حفظه لا من الكتاب

المنزل ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ﴾ أي يطهرهم من الشرك، وخبائث الجاهلية ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي يعلمهم القرآن العظيم، والسنة النبوية المطهرة، الركنان الأصليان للشريعة الإسلامية الغراء، ولو لم يكن سوى القرآن العظيم معجزة معه لكفاه ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي وقد كانوا قبل بعثة النبي في ضلال واضح، وكفر وجهالة، وهو بيان لشدة الحاجة إلى نبي يرشدهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣﴾

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي وبعث خاتم النبيين إلى قوم آخرين، لم يكونوا في زمانهم، وسيجيئون بعدهم، وهم جميع من أسلم إلى يوم القيامة، والمعنى: لم يلحقوا بهم وسيلحقون بهم ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي هو سبحانه القوي الغالب في ملكه، الحكيم في صنعه، حيث اختاره من بين كافة البشر.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٤﴾

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي ذلك الشرف والفضل، الذي خصَّ الله به العرب، من نزول القرآن بلغتهم، وإرسال خاتم الرسل إليهم، هو فضل الله يعطيه لمن يشاء من خلقه ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي هو جلَّ وعلا ذو الفضل الواسع، على جميع خلقه في الدنيا والآخرة.

ثم شرع تعالى في ذم اليهود، الذين أكرمهم الله بالتوراة، فلم ينتفعوا بها ولم يطبقوها، وشبههم بالحمار الذي يحمل الأسفار، فقال سبحانه:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥﴾

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ أي مثل اليهود الذين أعطوا التوراة، وكُلّفوا بالعمل بها، ثم لم يطبّقوها ولم يعملوا بما فيها ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ أي مثلهم كمثل الحمار، الذي يحمل الكتب الضخمة النافعة، ولا يناله منها إلا التعب والعناء، شبههم تعالى والتوراة في أيديهم، وهم لا يعملون بها، بالحمار يحمل الكتب، وليس له إلا ثقل الحمل من غير فائدة، فهو يتعب في حملها ولا ينتفع بما فيها ﴿ بئسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ أي بئس هذا المثل، الذي ضرب لليهود، مثلاً للقوم الذين كذبوا بآيات الله، الدالة على نبوته ﷺ ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ أي لا يوفق للخير، ولا يرشد للإيمان، من كان فاسقاً ظالماً، عاصياً لأمر الله، يضع التكذيب في موضع التصديق.

﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء اليهود، الزاعمين أنهم أولياء الله وأحبابه، إن كنتم حقاً أحبابه كما تدعون ﴿ فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ ﴾ أي فتمنوا من الله أن يميتكم، لِتُنْقَلُوا من دار البلاء إلى دار الكرامة، والآية ردٌّ على قولهم: ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ وتكذيب لهم في هذه الدعوى ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي إن كنتم صادقين في محبتكم وولايتكم لله، فإن من أيقن أنه من أهل الجنة، أحب لقاء الله، لينال الفوز والسعادة، بجوار ملك الملوك، ربّ العزة والجلال.

﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾

﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي ولا يتمنون الموت بحالٍ من الأحوال، بسبب ما أسلفوه من الكفر والمعاصي، وتكذيب الرسول عليه السلام، وهذه من معجزات القرآن، حيث أخبر عنهم خبراً جازماً قاطعاً

بعدم تمني الموت، وقد وقع ما أخبر عنه، وفي الحديث الشريف: «لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي إلا مات». ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ أي عالم بهم، وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي.

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالَمِ وَالشَّهَادَةُ فَيُنْتَبِهُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ أي قل لهم يا محمد، إن هذا الموت الذي تهربون منه، ولا تجسرون أن تتمنوه، فإنه آتيكم لا محالة، ولا ينفعكم الفرار منه، لأنه قدر محتوم، ولا يغني حذر عن قدر ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالَمِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي ثم ترجعون إلى رب العزة والجلال، الذي لا تخفى عليه خافية ﴿فَيُنْتَبِهُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي فيجازيكم على أعمالكم القبيحة.

ثم شرع تعالى في بيان أحكام فريضة الجمعة فقال تقدست أسماؤه:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ أي إذا سمعتم الأذان ينادي به لصلاة الجمعة ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أي فامضوا وامشوا إلى الخطبة والصلاة، واتركوا البيع والشراء، وسائر الأعمال الدنيوية، لتنالوا رضوان الله ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي ذلك السعي للصلاة، وترك البيع والشراء، والتجارة والعطاء، خير لكم وأنفع من تجارة الدنيا، فإن نفع الآخرة خير وأبقى، قال الحسن البصري: والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكنه سعي بالقلوب، والعزائم، والخشوع.

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿١١﴾ .

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ ﴾ أي أديتم الصلاة وفرغتم منها ﴿ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ أمر بإباحة لإقامة مصالحكم ﴿ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ أي اطلبوا الرزق أو زيارة أخ في الله، وعن بعض السلف أنه كان يقول: «اللهم أجبتُ دعوتك، وصَلَّيتُ فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني وأنت خير الرازقين» ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ أي اشكروه على ما وفقكم لأداء فريضته، واذكروه في مجامع أحوالكم، ذكراً كثيراً وزماناً كثيراً ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ كي تفوزوا بخير الدارين، وتسعدوا بنيل رضوان الله .

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ ﴿١١﴾ .

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ أي تفرَّقوا عنك إليها وتقديره: وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها، أو لهواً انفضوا إليه، فحذف أحدهما للدلالة المذكور عليه، عن جابر رضي الله عنه أنه قال: «بينما نحن نصلي مع الرسول ﷺ، إذ أقبلت عير - أي جمال - تحمل طعاماً، فانفلتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً، فنزلت هذه الآية»<sup>(١)</sup> .

وقال الحسن: أصاب أهل المدينة جوعٌ وغلاءٌ سِغْرٍ، فقدم دحية الكلبى قبل أن يُسلم، وكان معه أنواع التجارة من الشام، والنبي ﷺ يخطب، فلما رأوه قاموا إليه، وكانوا إذا أقبلت العير، استقبلوها بالطبل، والتصفيق، وهو المراد باللهو هنا ﴿ وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ أي على المنبر<sup>(٢)</sup> ﴿ قُلْ مَا

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٦٤٢/٨ باب «وإذا رأوا تجارة» .

(٢) هذا إنما حدث منهم، لأن الصلاة كانت قبل الخطبة، كما نبّه عليه الحافظ ابن كثير =

عِنْدَ اللَّهِ ﴿ مِنْ الشَّوَابِ ﴾ ﴿ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ الْجَزَاءِ ﴾ فَإِنْ ذَلِكَ نَفَعَ مَحَقَّقٌ مَخْلَدٌ،  
بِخِلَافِ مَا فِيهِمَا مِنَ النِّفَعِ الْمَتَوَهَّمِ ﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴾ اطلبوا منه تعالى  
الرزق، فهو الرزاق ذو القوة المتين، والله أعلم بمراده.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين،  
والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الجمعة»

\* \* \*

---

= رحمه الله، وإلا فمحالٌ على أصحاب رسول الله، أن يتركوا الصلاة، ويخرجوا من  
أجل التجارة، ثم أصبحت الخطبة قبل الصلاة، كما هو عليه الحال الآن، بأمر الله  
جلَّ وعلا.

## سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

مدنية آياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾  
 وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ .

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ أي حضروا مجلسك، وهم عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ ﴾ أرادوا شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ مؤكدين كلامهم بأن واللام، للإيدان بأن شهادتهم هذه صادرة عن صميم القلب ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾ اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم، أي والله يعلم أن الأمر كذلك أنك رسول الله ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ في ادعاء الصدق، لأنهم لم يعتقدوا ذلك، وأضمرنا خلاف ما أظهروا، وهذا يدل على أن حقيقة الإيمان بالقلب، وكل من أخبر عن شيء واعتقد خلافه فهو كاذب، والإظهار في موضع الإضمار، لذمهم، وبيان كذبهم.

﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ .

﴿ أَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ أي وقاية من السبي، والقتل، واتخاذها جُنَّةً عبارة عن تهيئتهم لها إلى وقت الحاجة، ليحلفوا بها، ويتخلصوا عن المؤاخذة ﴿ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي منعوا الناس عن الإسلام، بالتنفير، وإلقاء الشُّبُه، ومنع الناس عن الجهاد ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من نفاقهم، وصدِّهم، وفي «ساء» معنى التعجب، الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ .

﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى ما وصف من حالهم في النفاق، والكذب، والصد عن سبيل الله ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ أي بسبب أنهم ﴿ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ أي نطقوا بكلمة الشهادة، فأمنوا بالسننهم، وكفروا بقلوبهم، ثم ظهر كفرهم، بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله ﴿ فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ فختم عليها حتى لا يدخلها الإيمان ولا يتدبرون ﴿ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ حقيقة الإيمان، لأنهم تمرنوا على الكفر والضلال.

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مِّنْ سُنْدَةٍ يُحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاخَذَهُمْ فَتْلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤَفِّكُونَ ﴾ .

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ الخطاب للرسول ﷺ، أو لكل من يسمع، أي إذا نظرت إليهم أعجبتك أجسامهم، لضخامتها ومناظرها فقد كان عبد الله بن أبي ابن سلول رجلاً جسيماً، صيحاً، فصيحاً، وطائفة من المنافقين في مثل صفاته، فكانوا يحضرون مجلس النبي ﷺ، ويعجب الناس بهيكلهم ويسمعون إلى كلامهم ﴿ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﴾ لفصاحتهم، وحلاوة كلامهم ﴿ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مِّنْ سُنْدَةٍ ﴾ شُبِّهوا في جلوسهم، بخُشْب

منصوبة، مستندة إلى الحائط، في كونهم أشباحاً خالية من العلم والخير، والخُشْب لا تعقل ولا تفهم، فكذلك أهل النفاق في حسن صورهم، وقلة جدواهم ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي واقعة عليهم، وضارة لهم، لفزعهم ورعبهم، فقد كانوا على وَجَلٍ من أن يُنزل الله فيهم ما يهتك أسرارهم، ويبيح دماءهم وأموالهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ أي هم الكاملون في العداوة، لأن أعدى الأعداء العدو المداجي، الذي يكاشرك، وتحت ضلوعه الداء الدفين ﴿فَأَحْذَرْتُمْ﴾ ولا تغترز بظاهرهم، فإنهم وإن كانوا معك، عيون لأعدائك ﴿فَلَلَّهُمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفِّكُونَ﴾ أي أهلكهم الله ولعنهم، كيف يعدلون عن الحق، إلى الضلال والباطل؟.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ عند ظهور جنائيتهم بطريق النصيحة ﴿تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ أي تعالوا إلى رسول الله ﷺ، فاعتذروا لديه ليطلب لكم المغفرة من الله، وذلك حين نزل القرآن بصفة المنافقين، مشى إليهم عشائرتهم من المؤمنين، فقالوا لهم: ويلكم افتضحتم بالنفاق، فأتوا رسول الله وأسألوه أن يستغفر لكم، فأبوا ﴿لَوَّأْ رُءُوسَهُمْ﴾ أي أداروها وعطفوها استكباراً عن ذلك ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون عن الناصح، وعن طلب الاستغفار ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الاعتذار، لغاية ضلالهم ونفاقهم.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾  
 ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ يستوي لديهم إذا جاؤوا معتردين من جنائياتهم ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ إذا أصروا أو لم يأتوا وأصروا على قبائحهم، واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار ﴿لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ ما داموا

على النفاق، وإصرارهم على الفسق ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾  
الخارجين عن الطاعة، لانهماكهم في الكفر والفسق، والمراد إما هم  
بأعيانهم، وإما الجنس وهم داخلون فيه .

﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا نُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا  
وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٧)

﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ للأنصار ﴿ لَا نُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ يعنون  
الفقراء المهاجرين ﴿ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ﴾ أي يتفرقوا عنه ﴿ وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ ﴾ أي وله سبحانه الأرزاق، ويده تعالى مفاتيح الرزق، فلا يعطي  
أحد أحداً شيئاً إلا بإذنه، ولا يمنعه إلا بمشيئته، وفيه ردٌّ وإبطال لما  
زعموا ﴿ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ذلك لجهلهم فيهدون بما يزين لهم  
الشيطان، رُوي أن «جهجاه» أجير عمر رضي الله عنه و «سنان» أجير  
عبد الله بن أبي، اقتتلا من أجل الماء، فلطم جهجاه سناناً، فغضب له ابن  
سلول فقال عبد الله: أفعلوها؟ والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل:  
«سمنٌ كلبك يأكلك» أما والله لئن رجعنا إلى المدينة، ليخرجن الأعز منها  
الأذل، ثم أقبل على من حضر من قومه، فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم،  
أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، والله لو أمسكتهم عنهم فضل  
طعامكم، لم يركبوا رقابكم، فلا تنفقوا عليهم، حتى ينفضوا عن محمد،  
ويعتزلوا عن متابعتة، فنزلت الآية الكريمة<sup>(١)</sup>.

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ  
الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٨)

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾ من غزوة بني المصطلق ﴿ لَيُخْرِجَنَّ ﴾

(١) أخرجه الترمذي بنحوه في كتاب التفسير رقم ٣٣١٥ .

الْأَعْرُ مَتَّهَا الْأَدَلُّ ﴿ عني بالأعز نفسه، وبالأذل جانب المؤمنين، وإسناد القول المذكور إلى المنافقين، لرضاهم به، فرد عليهم بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي والله الغلبة والقوة، ولمن أعزه من رسوله والمؤمنين، لا لغيرهم، كما أن المذلة والهوان، للشيطان وذويه، من الكافرين والمنافقين ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ من فرط جهلهم وغرورهم، ولو علموا ما قالوا هذا الهذيان، قال أصحاب السير: فلما نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي، لم يلبث إلا أياماً قلائل حتى مات على نفاقه.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَأْمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠﴾﴾ .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ﴾ أي لا تشغلكم ﴿ءَأْمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ أي لا يشغلكم الاهتمام بتدبير أمورها، والاعتناء بمصالحها، والتمتع بها ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ عن الصلاة، أو عن القرآن وسائر العبادات المذكورة بالمعبود، والمراد نهيهم عن التلهي بها، وتوجيه النهي إليها للمبالغة ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي التلهي بها، والتغافل عنها ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي الكاملون في الخسران، حيث باعوا الباقي بالفاني.

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنُّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١﴾﴾ .

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي بعض أموالكم، ادخاراً للآخرة، والمراد الإنفاق الواجب ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي من قبل أن يرى دلائل الموت، ويعاين ما يبئس، ويتعذر الإنفاق ﴿فَيَقُولُ﴾ عند تيقنه بحلولة ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي﴾ أي هلاً أمهلتنى ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي إلى زمان قليل

﴿ فَاصَّدَقْ ﴾ أي فأتصدق، وهو جواب «لولا» أي فأزكي مالي ﴿ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ من المؤمنين المحسنين.

﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا ﴾ أي لن يمهلها عن الموت ﴿ إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا ﴾ آخر عمرها ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فمجازٍ عليها، والله أعلم.

والصلاة على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة المنافقون»

\* \* \*

## سُورَةُ النَّجْمَاتِ

مكية وآياتها ثمان عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١﴾ .

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ﴾ لا لغيره، إذ هو المبدىء لكل شيء، وهو القائم به، والمهيمن عليه، وهو المولى لأصول النعم وفروعها، ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ لأن نسبة ذاته المقتضية للقدرة إلى الكل سواء.

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴾ ﴿٢﴾ .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ خلقاً بديعاً، حاوياً لجميع مبادئ الكمالات العلمية والعملية، ومع ذلك ﴿ مِنْكُمْ كَافِرٌ ﴾ أي فبعضكم مختار للكفر، كاسب له، على خلاف ما استدعيه خلقته ﴿ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ مختار للإيمان كاسب له، حسبما تقتضيه خلقته، وكان الواجب عليكم جميعاً، أن تكونوا مختارين للإيمان، شاكرين لنعمة الخلق، وتقديم الكفر لأنه الأغلب ﴿ وَاللَّهُ

يَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ أي عالم وبصير بكفركم، وإيمانكم، فيجازيكم بذلك، وفيه رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين.

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ .

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ أي جعلكم أحسن المخلوقات وأبهاها، حيث زينكم بصفوة أوصاف الكائنات، فإن قيل: وقد كان من أفراد هذا النوع مشوه الصورة، سمج الخلقة؟ نقول: لا سماجة ثمة، لكن الحسن كغيره من المعاني، على مراتب، فانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها، أمرٌ نسبي، لا يخرجها عن الجمال، فهو داخل في حيز الحسن، وإذا ما قارناً صورة أي إنسان بصورة القرد والحمار، كان بلا شك أجمل جميع المخلوقات. ﴿ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ في النشأة الأخرى.

﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ .

﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي هو محيط بجميع المضمرات في صدور الناس.

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ .

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ألم يأتكم أيها الكفار نبأ الذين كفروا ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ كقوم نوح، وهود، ولوط ﴿ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ أي جزاء أعمالهم الخبيثة، وهو ما لحقهم من العذاب في الدنيا ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة، لا يُقَادِرُ قَدْرُهُ.

﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَأَبْشَرُ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ۗ وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ .

﴿ ذَلِكْ ﴾ أي ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا، وما سيدوقونه في الآخرة ﴿ بِأَنَّهُ ﴾ بسبب أنه ﴿ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ بالمعجزات الواضحات ﴿ فَقَالُوا أَأَبْشَرُ يَهْدُونَنَا ﴾ أنكروا وتعجبوا أن يكون الرسول بشراً، أي قال كل قوم في حق رسولهم: أبعث الله بشراً؟ كما قالت ثمود: ﴿ أَأَبْشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ ﴾ وقد أجمل فأسند القول إلى جميع الأقسام وأريد بالبشر الجنس، أنكروا أن يكون الرسول بشراً، ولم ينكروا أن يكون معبودهم حجراً؟ ﴿ فَكَفَرُوا ﴾ بالرسول ﴿ وَتَوَلَّوْا ﴾ عن الإيمان، وعن التدبر في البيّنات ﴿ وَاسْتَغْنَى اللَّهُ ﴾ أي أظهر الله استغناؤه عن إيمانهم، حيث أهلكهم ﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ ﴾ عن العالمين ﴿ حَمِيدٌ ﴾ أي مستحق للحمد، وإن لم يحمده حامد.

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِبُحْبُوحِهِمْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكِ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ .

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ المراد بالموصول كفار مكة ﴿ أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ ﴾ أي أنهم لم يبعثوا ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ أكد الإخبار باليمين، لأن التهديد به أعظم في القلب، فكانه قيل لهم: ما تنكرونه كائن لا محالة، أفسم لكم بربي ﴿ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ أي لتحاسبنن ولتجزون بأعمالكم من خير أو شر ﴿ وَذَلِكِ ﴾ البعث والجزاء ﴿ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ لتحقق القدرة.

﴿ فَتَأْمُرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ .

﴿ فَتَأْمُرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي إذا كان الأمر كذلك، فأمروا لثلاثين بكم ما نزل بهم من العقوبة ﴿ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾ يعني القرآن الكريم، فإنه

بإعجازه بَيَّنَّ بنفسه، مبيِّنٌ لغيره، كما أن النور كذلك ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الامتثال بالأمر، أو عدمه ﴿خَيْرٌ﴾ أي مجازٍ لكم عليه.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ أي ليومٍ عظيم، يجمع فيه الأولون والآخرين، من الإنس والجن، والسابقين واللاحقين، لأجل ما فيه من الحساب والجزاء ﴿ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ﴾ أي يوم غَبِنِ الناس بعضهم بعضاً، والغبنُ هو فوت الحظ من السعادة، وضياع ما كان يؤمله الإنسان، وتخصيص التغابن بذلك اليوم، للإيدان بأن الخسارة الحقيقية إنما تكون في الآخرة، فيظهر حينئذٍ غبن كل كافر، اشترى الضلالة بالهدى، وكل مؤمن بتقصيره في الإحسان ﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي عملاً صالحاً إلى أن يموت على ذلك ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الذي لا فوز وراءه، لانطوائه على النجاة من أعظم المهلكات، والظفر بأجلِّ الطلبات.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على البعث ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي بئس المرجع والمسكن نار جهنم، والآيتان بيانٌ لكيفية التغابن، وتفصيلٌ له.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أي بعلمه وتقديره ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾ ويرى المصيبة من الله ﴿ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ للثبات، والرضا، والصبر ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فيعلم إيمان المؤمن، ويهدي قلبه إلى ما ذكر.

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ كرر الأمر للتأكيد ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أي عن إجابة الرسول ﷺ فيما دعاكم إليه ﴿ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾ أي وقد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وهو تعليل للجواب المحذوف، أي فلا بأس عليه، لأن مهمته التبليغ، وقد أداها امتثالاً لأمر ربه.

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي هو المستحق للعبادة، لا غيره ﴿ وَعَلَى اللَّهِ ﴾ خاصة دون غيره ﴿ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي فليعتمد المؤمنون عليه في جميع أمورهم.

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم، وقالوا: لمن تتركوننا؟ فلما أتوا رسول الله ﷺ، رأوا الناس قد فقَّهُوا في الدين، فهثموا أن يعاقبهم،

فأنزل الله هذه الآية<sup>(١)</sup> ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ أي أن تطيعوهم وتركوا الهجرة ﴿وَلِإِنْ تَعَفَّوْا﴾ عن ذنوبهم بترك المعاقبة، القابلة للعفو، بأن تكون متعلقة بأمور الدنيا، ﴿وَتَصَفَّحُوا﴾ أي تعرضوا عن التوبخ ﴿وَتَغَفَّرُوا﴾ وتسترأ ذنوبهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي يعاملكم بمثل ما عملتم من الصفح والمغفرة.

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي بلاء ومحنة، لأنهم يقعون في الإثم والعقوبة، وقد يقع الإنسان بسببهم في العظام ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لمن آثر محبة الله، على محبة الأولاد والأموال، عن بريدة قال: كان ﷺ يخطفنا، فجاء الحسن والحسين يمشيان ويعثران، فنزل ﷺ عن المنبر، فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال صدق الله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نظرتُ إلى هذين الصبيين، يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما<sup>(٢)</sup>.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أي ابدلوا في تقواه جهدكم وطاقتمكم، وهو تفسير لقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ أي مواعظه ﴿وَأَطِيعُوا﴾ أوامره ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ مما رزقكم ربكم، في الوجوه التي أمركم بالإنفاق فيها، خالصاً لوجهه الكريم ﴿خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ أي افعلوا ما هو خير لها وأنفع، وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر، وبيان لكون

(١) الحديث أخرجه الترمذي رقم ٣٣١٧ وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في المناقب رقم ٣٧٧٤ وقال: حديث حسن غريب.

الأمور المذكورة خيراً لأنفسهم ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾  
أي الفائزون بكل مطلوب ومحبوب.

﴿ إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ  
حَلِيمٌ ﴾ (١٧).

﴿ إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ بصرف المال فيما أمر به، مقرونًا بالإخلاص، وطيب القلب، وذكر القرض تطفأ في الاستدعاء ﴿ يَضْعَفُهُ لَكُمْ ﴾ بالواحد عشرة، إلى سبعمئة وأكثر، إلى ما شاء الله ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ ببركة الإنفاق ما فرط منكم ﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ ﴾ أي يعطي الجزيل بمقابلة النزر القليل ﴿ حَلِيمٌ ﴾ أي لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم.

﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٨).

﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ ﴾ أي يعلم ما استتر ﴿ وَالشَّهَادَةِ ﴾ أي ما انتشر وظهر، يعني لا تخفى عليه خافية ﴿ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ المبالغ في القدرة والحكمة، والله أعلم.

والصلاة والسلام على خير خلقه محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة التغابن»

\*\*\*



## سُورَةُ الطَّلَاقِ

مدنية وهي اثنا عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ تخصيص النداء به ﷺ مع عموم الخطاب لأُمَّته، لتشريفه، وإظهار جلالته منصبه، أو المعنى: يا أيها النبي قل لهم، فأضمر القول، والمعنى: إذا أردتم تطليقهن كما في قوله تعالى: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ﴾ أي مستقبلات لها، فإن المرأة إذا طلقت في طهر، يعقبه القرء الأول من أقرائها، فقد طُلِّقت مستقبلَةً لعدتها، والمراد أن يطلقن في طهر، لم يقع فيه جماع، ثم يُخلَّين حتى تنقضي عدتهن، وهذا أحسن الطلاق، عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ، فتعَيَّظ منه ﷺ، ثم قال: «مُرَّةٌ فليراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض ثم

تطهر، فإن بدا له أن يطلقها، فليطلقها قبل أن يمسه»<sup>(١)</sup> ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ أي اضطوها، وأكملوها ثلاثة أقرء كوامل، وخوطب الأزواج لغفلة النساء، وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة، ومراعاة أمر النفقة والسكنى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ في تطويل العدة عليهن والإضرار بهن، وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم، تأكيد الأمر، ومبالغة في إيجاب الاتقاء ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ أي من مساكنهن عند الفراق إلى أن تنقضي عدتهن، وإضافتها إليهن وهي لأزواجهن لتأكيد النهي، ببيان كمال استحقاتهن لسكنائها، كأنها أملاكهن، وفيه دليل على أن السكنى واجبة لهن، وحكمتها لثلا يموت أحدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث، وللاحتياط مخافة أن تنكر المرأة المراجعة، فتنكح زوجاً غيره ﴿وَلَا يُخْرِجَنَّ﴾ بأنفسهن إن أردن ذلك، فإن الإذن بالخروج في حكم الإخراج ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ قيل: هي الزنا، فيخرجن لإقامة الحد عليهن، وقيل: إلا أن يفحشن على الأزواج، فيحل حينئذ إخراجهن لسوء خلقهن، فأخراجهن وخروجهن في عدتهن معصية ﴿وَتِلْكَ﴾ أي الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ التي عيَّن لها لعباده ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ بأن أخل بشيء منها، على أن الإظهار في موضع الإضمار لتحويل أمر التعدي، والإشعار بعلّة الحكم في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ أي أضرَّ بها ﴿لَا تَدْرِي﴾ أيها المخاطب ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ بأن يُقلِّب قلبه من بغضها إلى محبتها، ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها، فالظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقها، بسبب تعديه، أو عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والأخروي، وقوله: ﴿لا تدري﴾ خطاب للمتعدّي بطريق الالتفات، لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي، لا للنبي ﷺ كما توهم. عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أبغض الحلال

إلى الله الطلاق»<sup>(١)</sup> وعن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس، فحرام عليها رائحة الجنة»<sup>(٢)</sup>.

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كَمَا يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ أي شارفن آخر عدتهن ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ ﴾ فراجعوهن ﴿ بِمَعْرُوفٍ ﴾ بحسن معاشرة وإنفاق وحسن سيرة ﴿ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ بإيفاء الحق، واتقاء الضرار، مثل أن يراجعها ثم يطلقها تطويلاً لعدتها، أي فأنتم بالخيار، إن شئتم فالرجعة والإمسك بالمعروف، وإن شئتم المفارقة واتقاء الضرار ﴿ وَأَشْهِدُوا ﴾ عند الرجعة والفرقة جميعاً، قطعاً للتنازع، وهذا أمر ندب كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ وروي عن الشافعي أنه للوجوب في الرجعة ﴿ ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ من المسلمين ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ أيها الشهود خالصاً لوجهه سبحانه، لا لغرض من الأغراض، سوى إقامة الحق، ودفع الضرر ﴿ ذَلِكَ كَمَا ﴾ إشارة إلى الحق على الإشهاد ﴿ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ إذ هو المنتفع به، والمقصود تذكيره ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ ﴾ فطلق للسنة، ولم يضار المعتدة، ولم يخرجها من مسكنها، واتقى ربه في الأمور التي أمر بها الشرع ﴿ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ مما عسى يقع فيه من الغوم، والوقوع في المضايق، ويفرّج عنه ما يعتريه من الكروب.

(١) الحديث أخرجه أبو داود رقم ٢١٧٨ في الطلاق، مراسلاً، وموصولاً.  
(٢) الحديث أخرجه أبو داود رقم ٢٢٢٦ والترمذي رقم ١١٨٧ في الطلاق.

﴿وَرِزْقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ ﴿٢﴾ .

﴿وَرِزْقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي من وجه لا يخطر بباله، ويجوز أن يكون المعنى على العموم، أي ومن يتق الله في كل ما يأتي وما يذر، يجعل له مخرجاً ومخلصاً من غموم الدنيا والآخرة، رُوي أنها نزلت في «عوف بن مالك» أسر الأعداء ابناً له، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أسر العدو ابني، وشكا إليه الفاقة، فقال له ﷺ: «أتق الله واصبر، وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله» ففعل فينا هو في بيته، إذ قرع ابنه الباب، ومعه مائة من الإبل غنمها من المشركين»<sup>(١)</sup> ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يكل أمره إليه ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي كافيه في جميع أموره ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ﴾ أي يبلغ ما يريد، لا يفوته مراد، ولا يعجز من مطلوب ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ تقديرأ وتوقيتاً، وهذا بيان لوجوب التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه، لأن الإنسان إذا علم أن كل شيء، من الرزق ونحوه، لا يكون إلا بتقديره، لم يبق أمامه إلا التسليم إليه تعالى.

﴿وَالَّتِي يَبْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأَوْلَتْ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمَلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ ﴿٤﴾ .

﴿وَالَّتِي يَبْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ لكبرهن وانقطاع دم الحيض عنهن، وقدروه بخمس وخمسين سنة، قيل: لَمَّا نزلت: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ سألوا رسول الله ﷺ عن عدة اللائي لم يحضن، فنزلت

(١) ذكر هذه القصة ابن جرير الطبري، ورواها الحافظ ابن كثير في تفسيره من رواية السدي ٤٠٦/٤ .

﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ أي شككتم وجهلتم كيف عدتهن، وقيل: إن ارتبتم في دم  
 البالغات مبلغ اليأس أهو دم حيض أم استحاضة ﴿فَعَدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ﴾ أي  
 فهذا حكمهن ﴿وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنَّ﴾ لصغرهن فعدتهن أيضاً كذلك، فحذف ثقة  
 بدلالة ما قبله عليه ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ أي منتهى عدتهن ﴿أَنْ يَضَعْنَ  
 حَمْلَهُنَّ﴾ سواء كن مطلقات، أو متوفى عنها أزواجهن، عن سبيعة  
 الأسلمية أنها ولدت بعد وفاة زوجها بليالٍ قالت سبيعة: «فأتيت رسول  
 الله ﷺ، فسألته عن ذلك، فأفتاني بأني قد حلت حين وضعت حملي،  
 وأمرني بالتزوج إن بدا لي»<sup>(١)</sup> وعند علي وابن عباس عدتها أبعدهن الأجلين  
 ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ في شأن أحكامها ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ أي يسهل عليه  
 أمر الدنيا والآخرة، ويوفقه للخير.

﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمِ لَهُ  
 أَجْرًا﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من الأحكام ﴿أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ أي  
 أنزله إليكم لتعملوا به ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ بالمحافظة على أحكامه ﴿يَكْفِرْ عَنْهُ  
 سَيِّئَاتِهِ﴾ فإن الحسنات يذهبن السيئات ﴿وَيُعْظِمِ لَهُ أَجْرًا﴾ بالمضاعفة.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِضَيْقِوْنَ عَلَيْهِنَّ وَإِنْ  
 كُنَّ أُولَاتِ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ  
 أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بِهِنَّ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمُضِعْ لَهُنَّ أُخْرَى﴾.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ مسكناً ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ أي بعض مكان سكناكم ﴿مِنْ  
 وُجْدِكُمْ﴾ أي ممّا تطيقونه، والوُجْدُ؛ الوُسْعُ والطاقة ﴿وَلَا تُضَارُوهُنَّ﴾ أي في

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٦٥٣/٨.

السكنى ﴿لِضُيُوقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ وتلجئوهن إلى الخروج، ببعض الأسباب، من إنزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن ﴿وإن كنن﴾ أي المطلقات ﴿أولت حمل فأنفقوا عليهن حتى يرضعن حملهن﴾ فيخرجن من العدة، وأما المتوفى عنهن أزواجهن، فلا نفقة لهن ﴿فإن أرضعن لكم﴾ يعني هؤلاء المطلقات بعد انقطاع الزوجية ﴿فتأوهن أجورهن﴾ على الإرضاع، وهو دليل على أن اللبن وإن خلق لمكان الولد، فهو ملك لها، والأم يجوز لها أن تأخذ الأجر، وفيه دليل أن حق الرضاع على الأزواج في حق الأولاد ﴿وأنتمروا بينكم بمعروف﴾ أي ليأمر بعضكم بعضاً بحميل، في الإرضاع، والأجر، ولا يكن من الأب مماكسة، ولا من الأم معاسرة، لأنه ولدهما ﴿وإن تعاسرتم﴾ أي تضايقتم فلم ترض الأم بما ترضع الأجنبية، ولم يزد الأب على ذلك ﴿فسترضع له أخرى﴾ أي فستوجد له امرأة أخرى، وفيه معاتبة للأم على المعاسرة، أي سيجد الأب امرأة ترضع له ولده، إن عاسرته أمه.

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيِّجَعُلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ أي فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه على المطلقات والمرضعات ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا﴾ أعطائها من الرزق، جلّ أو قلّ، فإنه تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، وفيه تطيب لقلب المعسر، وترغيب له في بذل مجهوده، وقد أكد ذلك بالوعد حيث قال: ﴿سَيِّجَعُلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ عاجلاً أو آجلاً.

﴿وَكَايِن مِّن قَرْيَةٍ عَنَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾

﴿وَكَايِن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي كثير من أهل قرية ﴿عَنَّتْ﴾ أي عصت وأعرضت

﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ واستمرت على العتو والعداوة ﴿فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ باستقصاء الذنوب، وشدة العقاب ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ أي منكرًا عظيمًا، والمراد به عذاب الآخرة.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرَهَا حُسرًا﴾ ﴿٩﴾ .

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أي عقوبة كفرها ومعاصيها ﴿وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرَهَا حُسرًا﴾ أي خسارًا وهلاكًا، لا خسران مثله.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ ﴿١٠﴾ .

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرار للوعيد، وبيان لكونه مترقبًا يخوف الله كفار مكة، أن ينزل بهم ما نزل بالأمم الخالية ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ يا ذوي العقول السليمة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ عطف بيان ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ أن أنزل إليكم القرآن الكريم.

﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ ﴿١١﴾ .

﴿رَسُولًا﴾ أي وأرسل إليكم رسولاً هو النبي ﷺ ﴿يَتْلُوا﴾ أي الرسول ﴿عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ﴾ أي حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون إليه من الأحكام ﴿لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ اللام متعلقة بـ ﴿يتلوا﴾، أي ليخرج الله الذين علم منهم أنهم يؤمنون ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من ظلمات الضلالة إلى الهدى، ويمكن أن يكون المعنى: ليخرجهم من الظلمات التي تحدث لهم بعد الإيمان ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾ أي يصدق بوجود الله

ووجدانيتها، ويعمل عملاً صالحاً ﴿يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أي ماكثين في دار النعيم أبداً ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ فيه معنى التعجيب والتعظيم، أي ما أكرمه، وأعظمه من رزق!! .

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١١﴾ .

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي مثلهن في العدد أو في الإبداع والإتقان واختلف في كيفية طبقات الأرض، قال الجمهور: إنها سبع أرضين طباقاً، بعضها فوق بعض، وقال الضحاك: مطبقة من غير فتوق، بخلاف السماوات، ولا يوجد في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع، إلا هذه الآية ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ أي يجري أمر الله وحكمه بينهن، فينزل المطر، ويخرج النبات، ويخلق الخلق على اختلاف هيئاته ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي فعل ذلك لتعلموا أن من قدر على ما ذكر، قادر على كل شيء ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ لاستحالة صدور ذلك عن غير الخالق المبدع، والله أعلم بمراده.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الطلاق»

\* \* \*

# سُورَةُ التَّحْرِيمِ

مدنية وآيها اثنا عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرَمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَنَّى مَرْضَاتٍ أَرْوَجِكِ وَاللَّهُ عَفُورٌ  
 رَحِيمٌ﴾

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرَمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ اختلفوا في الذي حرّم النبي ﷺ على نفسه، قيل: حرّم «مارية» وهو قول الحسن، ومجاهد، وقتادة، والشعبي، ومسروق، وقيل: حرّم العسل!! لما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب فيشرب عندها عسلاً، فتواطأت أنا وحفصة، أن آتينا دخل عليها النبي ﷺ، فلتقل له: إني أجد منك ريح مغاير، أكلت مغاير؟ فدخل على إحدهما فقالت ذلك له، فقال: بل شربتُ عسلاً عند زينب، ولن أعود له، فنزلت ﴿يا أيها النبي لم تحرم﴾ إلى قوله تعالى ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> قولها فتواطأت أي اتفقت، مغاير وهو صمغ حلو، وله رائحة كريهة، قال النسائي: هذا الحديث صحيح جيد غاية الجودة، وقال الأصيلي: هذا أصح وأولى بظاهر كتاب الله

(١) الحديث أخرجه البخاري ٦٥٦/٨ في كتاب التفسير، ومسلم رقم ١٤٧٤ في الطلاق.

﴿ تَبَلَّغِي مَرْضَاتَ أَرْوَجِكَ ﴾ تفسير لتحرم، وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بذلك، مع اعتقاده أن ذلك حلال، أي تطلب رضاء أزواجك بترك ما أحلَّ الله لك؟ ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ ﴾ قد غفر لك هذه الزلَّة ﴿ رَجِيمٌ ﴾ قد رحمك ولم يؤاخذك بها، قال بعض العلماء: الصحيح في نزول الآية أنها في قصة العسل لا في قصة «مارية» المروية في غير الصحيحين، من أنه ﷺ أسرَّ إلى حفصة تحريمها على نفسه فأفشت السرَّ.

﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .

﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ قد قدرَّ الله لكم ما تحلُّون به أيمانكم، وشرع لكم تحليلها بالكفارة، ﴿ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ ﴾ بما يصلحكم فيشرعه لكم ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة.

﴿ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضُهُمْ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَيْرُ ﴾ .

﴿ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاجِهِ ﴾ وهي حفصة رضي الله عنها ﴿ حَدِيثًا ﴾ أي حديث تحريم العسل، أو مارية القبطية وأمر الخلافة ﴿ فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ ﴾ أي أخبرت حفصة عائشة بالحديث، وأفشته إليها ﴿ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ أي أطلع الله النبي ﷺ على إفشاء حفصة للسرِّ على لسان جبريل عليه السلام ﴿ عَرَّفَ ﴾ أي النبي ﷺ حفصة ﴿ بَعْضُهُمْ ﴾ بعض الحديث الذي أفشته، قيل هو حديث الإمامة ﴿ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾ عن تعريف بعض، قيل هو حديث مارية، والمعنى: أن النبي ﷺ أخبر حفصة ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم الأمة، وأعرض عن ذكر الخلافة، لأنه ﷺ كره أن ينشر في الناس ﴿ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ ﴾ أي نبأ النبي ﷺ حفصة بما أفشت من السرِّ إلى

﴿ قَالَتْ ﴾ حفصة للنبي ﷺ ﴿ مَن أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ ﴾ أي أخبرني بذلك الله عزَّ وجلَّ، العليم بالسرائر، الخبير بالضمائر.

﴿ إِن نُّوَبَّا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَكُ بِعَدَدِكَ ظَهِيرٌ ﴾

﴿ إِن نُّوَبَّا إِلَى اللَّهِ ﴾ خطاب لحفصة وعائشة رضي الله عنهما، على الالتفات للمبالغة في العتاب، وقد روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن المرأتين اللتين قال الله تعالى فيهما ﴿إِن تَوَبَّأَ إِلَى اللَّهِ﴾ حتى حجَّ عمر، وحججتُ معه، فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان اللتان قال الله تعالى: ﴿إِن تَوَبَّأَ﴾ قال عمر: واعجباً لك يا ابن عباس - قال الزهري: كره والله ما سأله عنه - قال: هما عائشة وحفصة، قال: كنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساءهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم..» الحديث<sup>(١)</sup> ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي مالت ووجد منكما ما يوجب التوبة، من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من تكريم رسول الله ﷺ، وحبِّ ما يحبُّه، وكرامة ما يكرهه ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ بإسقاط إحدى التائين، أي تتعاوننا عليه بما يسوءه، من الإفراط في الغيرة، وإفشاء سره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ﴾ وإنما أفرد جبريل تعظيماً له ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي أتباعه وأعوانه، وعن ابن مسعود وأبي بن كعب أراد بصالح المؤمنين أبا بكر، وعمر رضي الله عنهما، وبه قال عكرمة ومقاتل، وهو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة، فإنه جمع بين الظهير المعنوي، والظهير الصوري، كيف لا وإن جبريل ظهيرٌ له يؤيده بالتأييدات الإلهية،

(١) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في التفسير ٦٥٨/٨ ومسلم رقم ١٤٧٩ في الطلاق، وانظر تمام الحديث في جامع الأصول لابن الأثير الجزري ٤٠٠/٢.

وهما وزيراه وظهيرا في تدبير أمور الرسالة، وتمشية أحكامها الظاهرة، ولأن بيان مظاهرتهما له أشد تأثيراً في قلوب بنتيهما، بخلاف ما إذا أريد به جنس الصالحين من المؤمنين ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ مع تكاثر عددهم ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي بعد نصره الله وناموسه الأعظم وصالح المؤمنين ﴿ظَهِيرٌ﴾ أي فوج معين له، كأنهم يد واحدة على من يعاديه، فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه؟.

﴿ عَسَىٰ رَبُّهُٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَهُٗٓ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ فَنِيَّتٍ تَنَبَّتٍ عِيدَاتٍ سَيِّحَتٍ نِّيَبَتٍ وَأَبْكَارًا ۖ ﴾

﴿ عَسَىٰ رَبُّهُٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَهُٗٓ ﴾ أي يعطيه ﷺ بدلكن ﴿أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ﴾ على التغليب، أو تعميم الخطاب ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾ خاضعات لله تعالى منقادات له ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ مصدقات ﴿فَنِيَّتٍ﴾ مصليات بالليل، ومواظبات على الطاعة، ﴿تَنَبَّتٍ﴾ من الذنوب ﴿عِيدَاتٍ﴾ متعبدات أو متذللات لأمر الرسول ﷺ ﴿سَيِّحَتٍ﴾ صائحات، سُمي الصائم سائحاً، لأنه يسبح في النهار بلا زاد ﴿نِّيَبَتٍ وَأَبْكَارًا﴾ وفيه إشارة إلى أن تزوج النبي ليس على حسب الشهوة، بل على حسب ابتغاء مرضاة الله تعالى<sup>(١)</sup>.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۖ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ بالانتهاء عما نهاكم الله عنه، والعمل بطاعته ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالنصح والتأديب ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ أي حطبا

(١) إنما دخلت الواو في قوله: ﴿وَأَبْكَارًا﴾ دون سائر الصفات، لامتناع اجتماعهما في ذات واحدة، فإن المرأة لا تكون بكرةً وثيباً في آن واحد، بخلاف بقية الصفات ولهذا عطف هنا بالواو ﴿وَأَبْكَارًا﴾ فتدبر أسرار القرآن!!.

الحجارة والناس ﴿عَلَيْهَا﴾ يلي أمرها وتعذيب أهلها ﴿مَلَكِكَةً﴾ وهم الزبانية ﴿غَلَاظُ شِدَادٍ﴾ غلاظ الأقوال، شداد الأفعال، أقوياء على البطش ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ أي لا يخالفون أمر الله جلّ وعلا ﴿وَيَقْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أي ويؤدون ما يؤمرون به، ولا يتثاقلون عنه.

أمر تعالى المؤمنين، باتقاء هذه النار المعدة للكافرين، كما نصّ في سورة البقرة، للمبالغة في التحذير

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نَعْنِدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا نُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نَعْنِدُوا الْيَوْمَ﴾ أي يقال لهم ذلك، عند إدخال الملائكة إياهم النار، والنهي عند الاعتذار، لبيان أن العذر لا ينفعهم ﴿إِنَّمَا نُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي جزاء أعمالكم القبيحة في الدنيا، من الكفر والمعاصي .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ أي بالغة في النصح، وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم، فيأتوا بها على طريقتها، وذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبحها، نادمين عليها، مغتمين لارتكابها، عازمين على أنهم لا يعودون، ويردّوا المظالم، ويستحلوا الخصوم، ويداوموا على طاعة الله تعالى ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ورود صيغة الإطماع ﴿عسى﴾ للجري على سنن الكبرياء، والإشعار بأنه تفضل منه سبحانه، والتوبة غير موجبة له، وأن العبد ينبغي

أن يكون بين خوفٍ ورجاء، وإن بالغ في إقامة وظائف العبادة ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ ظرف ليدخلكم، أي يوم لا يذلهم ولا يهينهم، بل يكرمهم ويرفع مقامهم، عمن أخزاهم الله من الكفار، والفساق، واستحماد إلى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي على الصراط ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ﴾ إذا طفىء نور المنافقين ﴿رَبِّنَا أُنِيمْنَا نُورَنَا﴾ يدعون به تقرباً إلى الله تعالى، مع تمام نورهم، وقيل تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم، فيسألون إتمامه تفضلاً ﴿وَأَعْفِرْنَا لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِنَّا بِكَ ذَاكِرُونَ﴾ أي استر ذنوبنا وامحها عنا، فإنك القادر على كل شيء، وأنت يا رب أهل الفضل والغفران.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْطَىٰ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُثَسِّمُ الْمَصِيرُ﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بالحجة، والوعظ البليغ ﴿وَأَغْطَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي استعمل الخشونة معهم فيما تجاهدهم به من الكلام ﴿وَمَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُثَسِّمُ الْمَصِيرُ﴾ أي مسكنهم جهنم، ويثس المرجع والمصير نار جهنم، أن تكون مسكنهم وماوَاهم.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَاتَ نُوحٍ وَأَمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ضربُ المثل في أمثال هذه المواقع، عبارة عن إيراد حالة غريبة، ليعرف بها حالة أخرى، مشاكلة لها في الغرابة، مثل الله عزَّ وجلَّ حال الكفار، في أنهم يعاقبون على كفرهم، ولا ينفعهم ما كان بينهم وبين المؤمنين، من النسب والمصاهرة، وإن كان نبياً، بمثل امرأتي نوح و لوط ﴿امْرَأَاتَ نُوحٍ وَأَمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ

عِبَادِنَا صَالِحِينَ ﴿ أَي كَانَتَا فِي عَصْمَتِي نَبِيْنِ، مَتَمَكِّنِيْنِ مِّن تَحْصِيْلِ خِيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ بِالنَّفَاقِ وَلَمْ تُؤْمِنَا بِاللَّهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: « مَا بَغَتْ امْرَأَةٌ نَبِيًّا قَطُّ، وَخِيَانَتُهُمَا فِي الدِّينِ، أَنَّهُمَا أَسْرَتَا النَّفَاقَ، وَأَظْهَرْتَا الْإِيْمَانَ. ﴿ فَلَمْ يُغْنِيَا ﴾ أَي فَلَمْ يَغْنِ أَزْوَاجُهُمَا النَّبِيَّانِ ﴿ عَنْهُمَا ﴾ بِحَقِّ الزَّوْجِ ﴿ مِنَ اللَّهِ ﴾ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴿ شَيْئًا ﴾ أَي شَيْئًا مِّنَ الْإِغْنَاءِ ﴿ وَقِيلَ ﴾ أَي وَيُقَالُ لِهَٰمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿ أَدْخَلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِيْنَ ﴾ أَي ادْخَلَا نَارَ جَهَنَّمَ مَعَ سَائِرِ الْكُفْرَةِ الْمَجْرَمِيْنَ، فَقَطَعَ اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ طَمَعَ مَن يَرْتَكِبُ الْمَعْصِيَةَ، وَيَتَكَلَّ عَلَى صِلَاحٍ غَيْرِهِ <sup>(١)</sup>.

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِّن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِّن الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أَي جَعَلَ حَالَهَا مَثَلًا لِحَالِ الْمُؤْمِنِيْنَ، فِي أَنَّ صِلَةَ الْكُفْرِ لَا تَضُرُّ الْمُؤْمِنَ، إِذَا كَانَ صَادِقَ الْإِيْمَانَ، وَذَلِكَ فِي مِثْلِ حَالَةِ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ أَعْدَى أَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ فِي أَعْلَى غُرْفِ الْجَنَّةِ ﴿ امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾ وَهِيَ أَسِيَّةُ بِنْتِ مِزَاحِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمَّا ظَهَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَغَلَبَ السَّحْرَةَ، آمَنَتْ بِهِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لِفِرْعَوْنَ إِسْلَامُهَا، أَوْتَدَ يَدَيْهَا وَرَجَلَيْهَا بِالْأَوْتَادِ، وَأَلْقَاهَا فِي الشَّمْسِ ﴿ إِذْ قَالَتْ ﴾ وَهِيَ تَعَذَّبُ ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا ﴾ أَي ابْنِ لِي قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ، أَسْكَنَهُ بَعْدَ مَفَارِقَتِي الدُّنْيَا، وَأَرَادَتْ بِهِ الدَّرَجَةَ الْعَالِيَةَ فِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ ﴿ فِي الْجَنَّةِ ﴾ رَوَى أَنَّهُ لَمَّا قَالَتْ ذَلِكَ، أُرِيَتْ بَيْتَهَا فِي الْجَنَّةِ، وَانْتَرَعَ رُوحُهَا ﴿ وَنَجِّنِي مِّن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ﴾ أَي مِّنْ نَفْسِهِ الْخَبِيْثَةِ، وَعَمَلِهِ السَّيِّئِ ﴿ وَنَجِّنِي

(١) وفي ذلك مبالغة في المعنى المقصود، وهو أن الإنسان لا ينفعه عادة صلاح غيره، وإن كان ذلك الغير في أعلى مراتب الإيمان والصلاح.

مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ من القبط التابعين له في الظلم والطغيان، وفيه دليل أن الالتجاء إلى الله تعالى عند المَحَنِّ، من سِيَرِ الصَّالِحِينَ.

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الظُّلُمَاتُ ﴾ ﴿١٧﴾

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ ﴾ عطف على امرأة فرعون أي وضرب الله مثلاً للذين آمنوا، مريم بنت عمران، وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة، مع كون قومها كفاراً ﴿ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ أي عفت عن اقتراف الفاحشة مع الرجال ﴿ فَنَفَخْنَا ﴾ أي فنفخ جبريل بأمرنا ﴿ فِيهِ ﴾ في الفرج ﴿ مِنْ رُوحِنَا ﴾ الإضافة إضافة تمليك وتشريف، كبيت الله، وناقة الله، أي من روح خلقناه بلا توسط، فحملت بعبسى عليه السلام ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا ﴾ بالصحف المنزلة على إدريس وغيره ﴿ وَكُتِبَ ﴾ يعني الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَنِينِ ﴾ أي المطيعين لله عز وجل، وهم رهطها وعشيرتها، لأنهم كانوا أهل بيت صلاح، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حسبك من نساء العالمين: مريمُ ابنة عمران، وخديجة بنت خُوَيْلِدٍ، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون»<sup>(١)</sup> والله أعلم بمراده.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين،  
والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة التحريم»

\* \* \*

(١) أخرجه الترمذي في المناقب رقم ٣٨٧٨ وقال: حديث حسن صحيح.